5me Année, No 220.

Lundi - 20 - 9 - 1937

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العــــدد ٢٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ رجب سنة ١٣٥٦ — ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العــــدد

حقيقـــــة النفس

هل إليها من سبيل ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كان « ويندل هولمز » يقول — ولا يزال ، على الأقل فى كتابه فقد شبع موتاً من زمان — إن الانسان فى حقيقته ثلاثة ؛ وإن « احمد » — مثلا — توجد منه ثلاث صور : فهنا أحمد كما يعتقد هو فى نفسه ، وهناك أحمد ثان كما هو فى رأى محمد ، وهناك أحمد ثالث هو الذى يتكون من اعتقاده فى رأى محمد فيه ، وعلى هذا القياس يمكن أن يكون هناك ألف أحمد أو أكثر ، ولا يكون لأحمد الحقيقى وجود فى الواقع ، لأنه ضائع بين شخصياته المتعددة ، ولأنه هو نفسه قلما يعرف حقيقة نفسه فكيف بمعرفة غيره ؟

كنت أفكر فى هذا الذى قاله ويندل هولمز لأن صديقاً لى كان يبدو لي كأنه طائفة من النقائض جمعت وخلط بعضها ببعض وعجن التراب فيها بالنار ، ثم صيغ من هذا المزيج المتنافر وغيره ، مما يخفى علينا ، إنسان نعرفه باسمه ، ولا نعرف كنهه وحقيقته ؛ وابتسمت وقد خطر لى أنه كالمهربات التى يجد رجال الجمارك مكتوباً على صناديقها : « بطاطس » أو « زيتون »

ويفتحونها فاذا البطاطس أو الزيتون هناك ، ولكن حشوه حشيش أو رصاص أو غير ذلك من المحظورات ! وكنت أعجب له هل يدرك ، يا ترى ، أن له بواطن وظواهر مختلفات ، وأنه أشخاص كثر لا شخص واحد ، وأن فى أعماقه تيارات شتى تتلاقى لتتدافع لا لتتساير ؟ فسألته عن ذلك فقال : « إنك لست أقل منى تعدداً ، أنت أيضاً لك جوانب كثيرة » فبينت له أنى لا أنتقد ولا أعيب ، وإنما أريد أن أفهم ، فكان مما سمعته منه : « إنك أنت أيضاً لك سيرة فى حياتك العامة ، وسيرة أخرى فى حياتك الخاصة ، ولك رأى تذيعه ورأى تضمره ، وشخصية تكشف عنها وأخرى تسترها ، ونزعة تبديها ونزعة تحجبها ؛ أو لعلك لا تتعمد شيئاً من ذلك ولا تفطن إليه ولا تدريه ولكنك على التحقيق تغير جلدك فى اليوم الواحد أكثر من مرة »

قلت : « إذن ما حقيقة الانسان؟ »

قال: «حقيقته يعلمها الذي خلقه وركبه فيما شاء من الصور »

قلت : « قد تؤدي هذه الحيرة إلى إنكار المرء لنفسه . أين أنا بين هذه الصور العديدة المتناقضة التى تبدو لى كأنها لى ؟ »

قال : « وما المانع ؟ »

قلت : « وإذا ضاعت نفسى ؟ إذا خفيت عنى حقيقتها ؟ »

فصاح بى وهو يضحك : « إذا ؟ تقول إذا ؟ إن حقيقتها ضائعة يا صاحبي من قبل أن تفطن إلى احتمال ضياعها ! تعال ... تعال »

قلت : « إلى أين ؟ »

قال : « وما سؤالك هذا ؟ أتكره أن تريح رأسك المتعب أو أن تنظر إلى صورة لجانب من نفسك الخفية المضمرة ؟ »

قلت : « ماذا تعنى ؟ »

قال : « أعنى أن النفس كتاب فيه ورق كثير ... كثير جداً ... ولكنه مطوى ... يحتاج إلى يد تفتحه وتقلب صفحاته ؛ هذه الأيدى هي المناسبات والظروف . وكثير من الناس تظل كتب نفوسهم مطوية لأن حياتهم لا تتيح لهم أسباباً تدعو إلى فتح الكتاب والنظر إلى ما فيه ... وقد تكون نفيسة جداً ، ولكنها تبقى مغلقة مجلدة ، لأن حياتهم تتدفق بانتظام فى مجرى مألوف مثلا ، لا يحوج إلى الرجوع إلى الكتاب والاستمداد من وحيه والاسترشاد بما فيه ... ملايين وملايين من الخلق هكذا ، وتراهم فترى البساطة والوضوح والجلاء . . . لا شيء يبدو خفياً أو معقداً . . . ولكن من يدري كيف يكونون لو أن الكتاب فتح مرة ؟ وماذا ترى يبقى حينئذ من البساطة والوضوح ؟ تعال ، تعال » .

قلت : « هل لي أن أعرف أى يد ستفتح لى اليوم كتابى وتقرئنى بعض ما فيه ؟ »

قال : « فتاة رشيقة ظريفة تنسيك الدنيا والسعى والكدح وراء الرزق » .

قلت : « ومعنا رابع أو رابعة ؟ »

قال : « رابع : أخوها »

فهممت بسؤال ولكنه زجرنى عنه ، وقال : « اركب اركب» . وبلغنا البيت فأطلق النفير فأطل الذى هو « أخوها » وصاح: « حالاً . حالاً »

وخرجنا إلى روضة على النيل وكانت جلسة ظريفة ممتعة ، نعمنا فيها بالضحك والحديث وأنس المجلس ثم رجعنا ، فسألنى لما صرنا وحدنا : « ما رأيك ؟ »

قلت: « لا أدرى ماذا تستفيد من هذه المجالس إلا الحسرة . أولى بك أن تقصر ... هو أحجى وأرشد »

قال : « لا أستطيع . إنى مدبر فعينى لا تزال تتلفت إلى ما أولّى عنه . أنت أصغر مني فالذى أمامك لا يزال إن شاء الله أطول مما خلفت وراءك . وهل وراءك إلا الطفولة الغافلة والحداثة الجاهلة والشباب الغرير ؟ ولكنى أنا ورائى خير ما فى العمر . . . فلا يسعنى إلا أن أثنى وأتلفت وأدور وأتوقف . غير أنى لا أتحسر لأنى أصبح إدراكا لحقائق الحياة من أن أفعل ذلك ؛ وحسبي متعة النظر ولذة الحديث ، ومن متى أن أرى الشباب كيف يلهو كما كنت ألهو . ولست أحجم عن اللهو إذا تيسرت لى أسبابه وإلا فى لهو العقل الكفاية »

قلت : « اسمع . إنى لا أرى مما يليق بك أن . . . »

فصاح بى: « خل ما يليق بى لى ، فانه شأنى . واسمع . إن لي حياتين : حياة العمل وهذه مشتركة بينى وبين الناس وأنا فيها

جاد صارم ، وحياتي الخاصة وهذه لي وحدي وليس للناس شأن بها فيما لا يمسهم منها ... لا تعترض ... إن الناس جميعاً كذلك ومنافق كذاب من يدعي غير هذا »

ومن آرائه أن أهل المدن المتحضرين ليسوا أقل خشونة وجلداً من أهل الريف ، ولا أرق ولا أطرى كما يتوهمهم البعض . ومن قوله لي في ذلك : « إنكم تنظرون إلى أفراد معدودين من ذوى اليسار والترف ، وتقيسون أهل المدن جميعاً على هؤلاء الآحاد وتنسون أن كثرة الناس من الفقراء الذين لا يكفون عن السعي والكدح في سبيل الرزق ليلا ونهارا ... أين في الريف من يتعب كتعب أهل المدينة ؟ أين في الريف من يعدم قوتاً ، ويبيت طاوياً كما يبيت الكثيرون من سكان المدن ؟ وأين هو هذا الترف في حياة المدينة ؟ وليس في المدن رذيلة إلا وفي القرى مثلها ؛ ولكن المدن مزدحمة غاصة ، وتيار الحياة فيها زاخر ، فالعيوب تبدو أبرز . كلا ، الانسان هو الانسان سواء أكان في قرية سحيقة أم في مدينة ، ولكن الحياة في القرية أهدأ وضغطها على الأعصاب وإتلافها لها أخف وأقل ؛ فالناس في المدن أطلب للترفيه، وأكثر مصارحة بالرغبة فيه »

وآراؤه في مجالسه العامة غير آرائه في مجالسه الخاصة ، فهو مثلا في حياته العامة لا ينحرف مقدار شعرة عن تأييد التقاليد المقررة ، ولا يكف عن الدعوة إلى مغالبة النفس وضبطها وكبحها والحرص على الفضائل الاجتماعية ، ولكنه حين يكون بين إخوانه الذين اصطفاهم لا يتردد في المغالاة بانكار الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، ويذهب إلى أن هذه كلها أكاذيب يستعان بها على تنظيم حياة الجماعة ووقايتها ما تجره الفوضى ، ويؤدي إليه إرسال النفس على السجية الساذجة بلا كابح . وعنده أن الانسان حيوان مصقول لا أكثر ، ولكن الصقل لايمنع أن تطغى عليه حيوانيته إذا استفزها شيء ، فلا تعود طبقة الدهان — وإن كانت سميكة — تنفع أو تصد . وما من إنسان في رأيه يحجم عن الشر حتى من غير استفزاز إذا وسعه أن يقدم عليه وهو آمن . وكل امرئ يشتهي أن يكون له مال الأغنياء ، وقوة الأقوياء ، وسطوة الحاكم ، وبطش الظالم ، وفجور الفجار ؛ ولكنه يقيس قدرته إلى شهوته فيطلب ما في طوقه ، ويقصر عما عداه ، وتفعل العادة والنظام المألوف والشرائع فعلها أيضا

ولست أعرفه مشى في جنازة أو بكي على ميت، فإن هذه عنده سخافة . وحبه مع ذلك للحياة وجزعه من الموت أقوى ما عهدت، ووفاؤه لإخوانه وحدبه ورقة قلبه من الفلتات الفردة في هذه الدنيا . وهو حين يذكر نظرية قديمة ظهر بطلانها وعفى عليها الزمن ، يخيل إليك أنه يؤبن ميتاً على قبره من فرط شعوره بالزوال؛ وإذا سمعته يبين فساد رأى رأيته يترفق بالرأى ولا يعنف في تفنيده كأنما يتقي إيلامه وجرحه

وقد قلت له مرة : «إنك تهدم بيد ما تبني بالأخرى» فقال : « كلا ، فان الذين أصارحهم بما أنطوى عليه من الآراء الخاصة — أو على الأصح أدع نفسي تنفتح على هواها بلا كابح في حضرتهم — يسعهم أن يفهموا ويقدروا ، بل أن يهتدوا إلى أصح وأصدق من آرائي ؛ أما سواد الناس فأصلح لهم أن يبقوا على التقاليد ، وأن تنحدر حياتهم في المجاري المقررة المحفورة من قديم الزمان ، وإلا ارتدوا إلى الهمجية .ثم إني أخشى أن أكون مخطئاً فكيف أستبيح أن أزلزل للناس نفوسهم ؟ ألا يمكن أن يكون الناس على صواب وأكون أنا الذي ركبت من الغلط أبلد الحمير ؟ جائز ... كل شيء جائز »

صحيح ! كل شيء جائز ! ولهذا تضيع الحقيقة

ابراهيم عبد القادر المازني

توارد الخـــــواطر

للأستاذ عباس محمود العقاد

قبل أربع عشرة سنة كتب صديقنا الأستاذ المازني مقالا عن الخيام ألمع فيه إلى تصوف الخيام واستغرب أن يدين رجل مثله بخيالات المتصوفة وشطحاتهم البعيدة عن تحقيق العلم وتقرير الواقع لأنه «كانت له موهبة تنأى به عن التصوف : ذلك أنه كان رياضياً بارعاً ؛ ومما يذكر له فى هذا الباب تنقيحه التقويم السنوى تنقيحاً أظهر فيه من الحذق والأستاذية ما أطلق لسان جيبون المؤرخ الانجليزى بالثناء عليه . وله كذلك طائفة من الجداول الفلكية ومؤلف فى علم الجبر بالعربية ؛ والذهن الرياضى مجاله وعمله ضبط الحدود والحصر وتعليق النتائج بأسبابها والمعلول بعلته ، وهو عمل يتطلب من الدقة والعناية والترتيب والتبويب مالا يطيقه أو يقوى عليه ذهن المتصوف . ومن العجيب أن فتزجرالد لم يفطن إلى دلالة هذا ولا خطر له أن يسوق هذه الحجة فيما ساقه لتبرئة الخيام من التصوف »

ومن رأيى الذى لا أزال أراه أن الملكات الرياضية أقرب الملكات إلى التصوف والفروض البعيدة والعقائد الخفية ، فكتبت يومئذ بصحيفة البلاغ مقالاً عن القرائح الرياضية والتدين ، ناقشت فيه رأى الأستاذ المازنى وبينت فيه أسباب العلاقة بين القريحة الرياضية وبين التدين والايمان بالغيب ؛ وأهمها أن حقائق الرياضة ذهنية وليست خارجية ، فهى أقرب إلى الفروض وأبعد عن مراجعة الواقع الذى يراجعه علماء الحس والتجربة والمشاهدات العملية ؛ فاعتماد الرياضيين على البديهة أكثر من اعتمادهم على الملاحظة ، واستعانتهم بالفرض أكثر من استعانتهم بالتجربة : وموقفهم أمام المجهول موقف من يسلم به فرضاً ولا يستبعد فيه أى شىء ، وهذا سر تدينهم وإخباتهم وميلهم إلى تصديق المعجزات والخفايا وما شاكلها مما يلى البديهة الغامضة ولا تكاد تجمعه بظواهر الأشياء صلة . وفى عصرنا هذا لم يشتهر أحد من الرياضيين كما اشتهر أوليفر لودج الانجليزى وفلامريون الفرنسى وأديسون الأمريكى ، وكلهم من أعظم علماء الرياضيات ، وكلهم مسترسل فى إثبات أسرار الروح وكشف غوامض الاستهواء

قلنا : « لهذا تتآخى فروع هذه الحقائق أحياناً وتتآلف العلوم التى تبحث فيها وتتقارب الملكات التى تكون فى المشتغلين بها ، فيكثر من يجمع بين الفلسفة والرياضة ولا يندر أن ترى من يجمع بينهما وبين الموسيقى معاً . فالفارابى مثلاً كان رياضياً مبتكراً فى الموسيقى ، وفيثاغوراس أقدم فلاسفة ماوراء الطبيعة عند اليونان كان يبنى فلسفة الكون كله على النسب الموسيقية بين الأعداد . وقد مر بعصر قبل أيام نابغة من أفذاذ الرياضة هو ألبرت اينشتين صاحب فلسفة النسبية التى دهمت الناس بيدع فى تعريف الوقت والفضاء يكفى أن نذكر منها أن الخط المستقيم ليس من اللازم أن يكون أقرب موصل بين نقطتين . وهو فيلسوف رياضى وموسيقار بارع في العزف على القيثار . وليس يخفى الشبه القريب بين ملامح العظماء من الفلاسفة والرياضيين وملامح العظماء من نوابغ الموسيقيين . فقد تلتبس عليك صورهم حتى لا تكاد تميز بعضهم من بعض ولا سيا فى نظرات العين وسعة الجبهة وارتفاعها . . . . » ومن ذلك أن ينبغ العازفون والحاسبون والعدادون فى الطفولة الباكرة وفيما دون الخامسة أحياناً ولا يحصل ذلك في سائر العلوم

ذكرني ذلك البحث القديم الجديد اتفاق عجيب بين أمور متعددة لا رابطة بينها فى هذه الأيام

فالأستاذ المازنى يكتب عن توارد الخواطر ،وفى مقالى الأخير بالرسالة كلمة عن الرياضيات واتصالها بعالم الروح ، وبينا أفكر فى هذه الموضوعات إذا بكتاب جديد يصدر من مطبعة « جولانكز » الانجليزية عنوانه « عظماء الرياضيين » لمؤلفه الأستاذ (بل) الرياضي المشهور في الجامعات الأمريكية . فتصفحته واستقصيت بعض تراجمه فإذا به لا يقول ما قلته عن الصلة بين التدين والرياضة والموسيقى والحقائق الفرضية ، ولكنه يعرض لنا تراجم العظماء الرياضيين وعجائب آرائهم ونوادر صباهم وطرائف أخبارهم فلا يسع القارىء إلا أن يخرج منه بتلك النتائج التى أجملناها قبل أربع عشرة سنة كأنها استقصاء ثم تلخيص لكل ما ورد فى ذلك الكتاب

من ذلك أن الرياضي الكبير سلفستر يقول : « ألا يجوز إذن أن توصف الموسيقى بأنها رياضيات الحس ، وأن توصف الرياضيات بأنها موسيقى العقل ، وأن يقال إن الموسيقار يحس

رياضيا وأن الرياضى يفكر موسيقيا ؟ فالموسيقى هي حلم الحياة ، والرياضة هى عمل الحياة ، وكلتاها تستوفى نصيبها من الأخرى حين يرتقى الذهن البشرى إلى أوجه الأعلى ، ويسطع فى مزدوج من العبقرية يجمع بين موزار ودبرشليه ، أو بين بيتهوفن وجاوس ، وهو الازدواج الذى تجلى وميض منه فى عبقرية هلمهولتز وأعماله »

ومن ذلك أن الرياضى السويسرى النادر المثال ليونارد إيلر الذى قيل فيه إنه يصنع المعادلات كما يتنفس الهواء ، كان شديد التدين ، وكان يصلى بالأسرة فى منزله ؛ وخطر له أن ينتقل من لعوبة دبروها فى البلاط الروسى للفيلسوف « ديدرو » إلى الجد كل الجد فى إثبات وجود الله بالمعادلات الرياضية . فلما تمادى ديدرو فى تكفير رجال الحاشية الروسية ومجادلتهم فى وجود الله عمدت كاترين الكبيرة أن تداعبه وتفحمه من طريق الرياضيات التى كان يجهلها كما يجهل اللغة الصينية ، فوكلت به إيلر فواجهه فى بلد ورصانة ولفق له معادلة وتحداه أن يجيب إن استطاع الجواب ... فلم يدر الفيلسوف بماذا يجيب ، وكانت أضحوكة البلاط حين

قال الأستاذ (بل) مؤلف الكتاب : « ولم يقنع إيلر بفكاهته الآخرة بل حاول بعد ذلك أن يجلو الزنبقة وراح وهو جاد غاية الجد يركب المعادلات والبراهين الرياضية التى تثبت أن الله موجود وأن الروح مجردة من المادة . وقيل إن هذه البراهين تسربت إلى فلسفة الفقه والتصوف على أيامه فكانت على الأرجح نخبة الأزاهير التى تتمثل فيها عبقريته الرياضية بمعزل عن الشؤون العملية »

ومن ذلك أن جاوس الملقب بملك الرياضيين عرف تصحيح الحساب قبل بلوغ الثالثة من عمره . وكان أبوه رئيساً لطائفة العمال ، فلما كان يوم السبت واستدعاهم لإحصاء مالهم وما عليهم سمع من طفله الصغير غلط فى الجملة فصاح به الطفل : «يا أبتاه ! ليس هذا بصحيح ، وإنما الصحيح كيت وكيت» وروجع الحساب فإذا هو على صواب

ويقول المؤلف : « ومما تشوق ملاحظته — لما هو معهود فى الرياضيين من الميل إلى الموسيقى — أن فيرستراس الكبير لم يكن يقبل الأنغام على ضروبها مع اتساع مشاركاته ، فلم تكن لديه ولم يزعم هو أنها تمنيه »

وعندنا أن هذا غريب حقيق بالملاحظة كما قال المؤلف ، إلا أن غرابته تهون كثيراً متى ذكرنا أن فيرستراس هو القائل إن الرياضي لا تستقيم له ملكة الرياضة إلا بقسط من الشاعرية فيه ، وأنه كان يعارض إخوته فى تعلم الموسيقى لأنهم كانوا يروضونه بها على الرقص وشهود المجتمعات

وكان « كبلر » يزعم أنه اهتدى إلى نسبة بين حركات الكواكب السيارة ومواقعها تشابه النسب التى بين الأنغام الموسيقية والمقامات

وتتعدد الأقوال التى ترجع بتركيب الكون كله إلى النسب الرياضية ولا سيما بعد ما ظهر في السنوات الأخيرة من تحليل النور ورد المادة كلها إلى الاشعاع ، ورد الاشعاع كله إلى مقدورات عددية يوشك أن تخرج به من عالم المادة إلى عالم الحساب . فبعد مقال أفلاطون : « إن الله يهندس » ومقال جاليلى : « إن كتاب الطبيعة العظيم مكتوب بلغة الرياضيات » ومقال جاكوبى : « إن الله يحسب » يقول الأستاذ جينس في كتابه « الكون الخفى » وهو من أقطاب العصر الحديث: « إن مهندس الكون الأعظم قد بدا لنا اليوم محض رياضى ... وإن الكون يلوح لنا رياضياً على منوال مخالف لكل معنى تصوره الفيلسوف « كانت» أو كان فى وسعه أن يتصوره فى أيامه ؛ فإن الرياضيات بالايجاز تهبط إلى الكون من عل ولا تصعد إليه من الأدنى »

ومن الاتفاق الذى ينساق فى هذا المساق ما رواه الأستاذ جينس فى كتابه المتقدم عن رأى هكسلى فى المصادفات وتوارد الخواطر . فهو يعتقد اعتقاده أننا لو أسلمنا الآلات الكاتبة إلى ستة قرود يدقون على حروفها بغير قصد ولا معرفة ، ملايين بعد ملايين من السنين لكان لزاماً أن يجيء الوقت الذى « تنكتب » فيه بهذه الوسيلة جميع الكتب التى فى المتحف البريطانى »

ولا يخفى ما يريده هكسلى بهذه النكتة المنطقية ، ولكنه على كل حال قد خرج بالمسألة إلى « ما وراء الطبيعة » وأبطل حكم العقل والارادة فيها . فمهما يطل عمر الانسان فما هو ببالغ أن يفسر لنا على هذا النمط اتفاق الخواطر فى صفحة واحدة بله الألوف من المجلدات التى تحويها دار الكتب البريطانية

ولا حاجة إلى القرود الستة وملايين السنين والآلات الكاتبة لتعليل توارد الخواطر فى الآراء أو فى العبارات ، فإن علم النفس يغنينا حيث لا يغنى التطوح ملايين السنين وراء

المشهود والمحسوس . وقد كان علم النفس كافياً حتى الآن لتعليل حفظ العقول صفحات عديدة فى حالة « الغيبوبة » أو حالة التنويم المغناطيسي أو حالة « التنويم الذاتى » أو ما يشبه هذه الحالات من عوارض الحمى العصبية . فإذا رأينا حالة كالتى رواها صديقنا الأستاذ المازنى يستوعب فيها الانسان بضع صفحات لايخرم منها حرفاً ولا نقطة ثم يعيدها وهو معتقد أنه يمليها من وحى بديهته فلنرجع إلى علم النفس فى وصف العوارض التى تأتى بهذه الغرائب فإنه لكفيل بتعليلها أو بإبداء مقطع الحق فيها

وإنما العبرة من جميع ما تقدم أن نسأل : ترى لو صدر كتاب « عظماء الرياضيين » قبل كتابة المقال الذى ناقشت به الأستاذ المازنى منذ أربع عشرة سنة ، أما كان أقرب الاحتمالات إلى الذهن أننى قرأت ذلك الكتاب واستوحيت منه التحليل الذى فرقت به بين عقول الطبيعيين وعقول الرياضيين وعقول الموسيقيين ؟ أما كان من المستغرب يومئذ أن يقال إننى لم أطلع على ذلك الكتاب وإن كان مؤلفه لم يبسط فيه الرأى الذي بسطته ، ولم يتجاوز أن جمع أخبار الرياضيين وعجائبهم فى سجل واحد ؟

فأما وصدور الكتاب بعد كتابة المقال محقق لا شك فيه فهذا التوافق يبدو سهلاً جائزاً خلواً من الغرابة . ومن ثم ينبغى أن نقدم الاستقراء العقلى — فى تمحيص الخواطر المتواردة — على استقراء التاريخ مع رجاحة هـذا وصعوبة الاستغناء عنه ، لأن استقراء التاريخ وحده لا يكفى للبت فى جميع الأمور

ونعنى بالاستقراء العقلى أن نمتحن ذهن الكاتب وأن نتابع وجهته فى تفكيره ؛ فإذا عرفنا أنه قمين أن يقول ما قال ، وأن يخوض حيث خاض ، ويتوجه حيث توجه ، فالاتهام بعد ذلك ضرب من اللغو والتمحل ، وإن لم يكن كذلك فهو متهم ولو لم يكشفه استقراء التاريخ

أما حين يقع الاتفاق فى العبارات والحروف صفحات متواليات فليس من المروءة أن نجزم باستحالة ذلك قبل أن نحتكم إلى الاستقراء العقلى من طريق علم النفس ودرس الذهن الذى تقع له أمثال هذه الغرائب ، فقد يهدينا الحكم الوئيد هنا حيث يضلنا الحكم السريع ، ولا ضير علينا إذا تطابق الحكمان فى النهاية بعد الموازنة والمقابلة بين جميع الفروض .

عباس محمود العقاد

١ ـ مصر
فى أواخر القرن الثامن عشر
كما يصفها الرحالة سافارى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر خلال العصور الوسطى كعبة لطائفة كبيرة من الرحل والباحثين يفدون عليها من المشرق والمغرب ، تجذبهم عظمتها وآثارها وعلومها وفنونها ؛ وقد ترك لنا كثير من هؤلاء الرحل آثاراً قيمة عن مصر وأحوالها فى مختلف العصور . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء ابن حوقل وعبد اللطيف البغدادى وابن بطوطة ، والبلوى ، وابن خلدون من الرحل والعلماء المسلمين ، وماركو بولو ودى جوانفيل وبيترو مارتيرى من الرحل الغربيين . ولم ينقطع ورود هـذا الرهط من الرحل بعد الفتح العثمانى ، بل نلاحظ بالعكس أن الرحل والباحثين الغربيين يفدون على مصر منذ القرن السابع عشر فى فترات متقاربة ويضعون عنها المؤلفات والبحوث المطولة ؛ ولدينا منهم فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ثبت حافل ؛ ولدينا من آثارهم مجموعة نفيسة من الوثائق والصور عن مصر فى هـذه الفترة . وإذ كان العصر العثمانى من أغمض عصور التاريخ المصرى وأشدها ظلاما ، فان هذه المجموعة من آثار الرحل الغربيين تعتبر من أهم مراجعنا فى دراسته وتصوير

بيد أنه مما تجدر ملاحظته هو أن القرن الثامن عشر كان بالنسبة للدولة العثمانية فترة انحلال وضعف ؛ فقد كانت قواها العسكرية تنهار تحت ضربات روسيا القوية ، وكانت الاضطرابات والمتاعب الداخلية تقوض من صرحها القديم الشامخ ؛ وكانت مصر فى ذلك الحين قد أخذت تتحرك من سباتها الطويل وتترقب الفرص لتحطم ذلك النير الغاشم الذى يعصف بقواها المادية والروحية منذ قرنين . وفى منتصف القرن الثامن عشر استطاع زعماء مصر ، بقية الأمراء من الشراكسة أن يستردوا نوعا من الاستقلال المحلى ، وأن يبسطوا حكمهم الفعلى على مصر وأن يجعلوا سلطة الدولة العثمانية اسمية رمزية فقط ؛ وتعاقب

حكم مصر منهم عدة بدأت بإبراهيم بك ورضوان بك ، ثم على بك الكبير . فمحمد بك أبى الذهب ، فمراد وإبراهيم . على أن هذا الحكم الداخلى المستقل كان نوعاً من المغامرة التى لا تستند إلى قوة مادية يخشى بأسها أو تأييد شعبي حقيق ، وكانت مصر عاجزة عن مواجهة الأخطار الخارجية دون معاونة الدولة العثمانية . فى تلك الفترة التى انهارت فيها قوى الدولة العثمانية ، والتى تركت مصر فيها مفتحة الأبواب دون حماية حقيقية ، نرى ثبتاً من الرحل الغربيين يفدون عليها فى فترات متقاربة ، ويدرسون أحوالها وشئونها بعناية ودقة ؛ وكان جل هؤلاء الرحل من الفرنسيين والانكليز ؛ فهل كان مقدمهم إلى مصر فى تلك الظروف أمراً عرضياً ؟ وهل كانوا طلاب سياحة وثقافة ودرس فقط ؟ أم كانوا طلائع الاستعمار الغربى المتوثب يومئذ ، قدموا إلى مصر يجوسون خلالها ويتفقدون شئونها وأسرارها تمهيداً لمشاريع يجيش بها هذا الاستعمار ؟ يلوح لنا أن هذه الرحلات والدراسات المستفيضة لم تكن بريئة كل البراءة ، ولم تكن بعيدة كل البعد عن وحى الاستعمار ومشاريعه ؟ ولقد ألفى الاستعمار فى هذه الدراسات كل ما يرغب فى معرفته عن مصر وعن أحوالها الاقتصادية والسياسية وبالأخص عن قواها الدفاعية . وفى خاتمة القرن الثامن عشر دبر الاستعمار الأوربى أول مشاريعه لافتراس مصر ، وجاء بونابرت إلى مصر تحدوه أحلام امبراطورية عظيمة ، كان يعتقد أنه يستطيع أن يتخذ مصر قاعدة لتحقيقها .

وكان فى مقدمة الرحل الذين قدموا إلى مصر قبل الفتح الفرنسى بقليل رحالة ومستشرق فرنسى ترك لنا عن مصر فى أواخر القرن الثامن عشر أثراً من أنفس الآثار وأقيمها ، فان رحالة العلامة هو كلود إتيان سافارى (Savary) ، الذى قدم إلى مصر فى سنة ١٧٧٦ ، تحدوه أحلام مشرقية باهرة ؛ وكان مولده فى فترى سنة ١٧٥٠ ، ودرس دراسة جامعية حسنة فى رن وباريس ، وكان فى السادسة والعشرين من عمره حينما اعتزم الرحلة إلى المشرق يجذبه بهاء المشرق وروعته ؛ وقضى فى مصر ثلاثة أعوام طاف خلالها أرجاء الديار المصرية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، وزار جميع معالمها ومعاهدها وآثارها ، ودرس جميع أحوالها وشئونها ومجتمعاتها ، ودرس اللغة العربية والدين الاسلامى : ثم زار الجزر اليونانية ، وعاد إلى فرنسا سنة ١٧٨١ بعد غيبة دامت خمسة أعوام ؛ ووضع عن رحلته ودراساته فى مصر طائفة من الرسائل المستفيضة ملأت ثلاث مجلدات ، ونشرت بين سنتى ١٧٨٥ و١٧٨٩ ؛ ثم نشر ترجمة حسنة للقرآن وأتبعها بكتاب فى تفسير قواعد الدين الاسلامى تحت عنوان Morale de Mahomet ، وترجم بعض قصص ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية ، ووضع أجرومية للغة العربية والعامية ظهرت بعد وفاته . وتوفى فى باريس سنة ١٧٨٨ ، وهو دون الأربعين .

* * *

كان سافارى إذاً رحالة من طراز خاص ، أعدته مواهبه ومعارفه للقيام بدراسات حسنة فى بلاد المشرق ؛ فقد درس اللغة العربية ، وعرف تاريخ المشرق ، وعرف كثيراً عن الاسلام والشريعة الاسلامية ؛ ومن ثم كانت رسائله عن مصر تمتاز بطابع من الدقة لا نجده فى كثير من الكتب والدراسات المماثلة ، وهو يقدم إلينا هذه الرسائل تحت عنوان « رسائل عن مصر » Lettres sur L'egypte ، ويصف لنا محتوياتها فيما يأتى : « بها وصف لخلال أهل مصر القديمة والحديثة ووصف لنظم الدولة ، وأحوال التجارة والزراعة ، وغزو القديس لويس لدمياط منقولا عن جوانفيل والروايات العربية ، ومعها خرائط جغرافية » ويهدى سافارى كتابه إلى « صاحب السمو أخى الملك . . لما أسبغه عليه من مؤازرة مكنته من نشر رسائله ، وإنه لشرف عظيم أن يتوجها باسم مولاه . . » ويوجه رسائله إلى هذا الأمير أخى الملك ؛ وقد كان ملك فرنسا يومئذ هو لويس السادس عشر وأخوه الدوق دورليان . ويبدو مما كتبه سافارى فى رسالته الأولى أن الأمير المشار إليه هو الذى نصحه عند سفره أن يدرس أحوال المجتمعات التى اعتزم زيارتها وخلالها وعاداتها ولغاتها .

وقد كان لآثار مصر الفرعونية وذكرياتها القديمة فى نفس سافارى أعظم الأثر ، وهو يعرب لنا فى مقدمته عن عظيم إعجابه بذلك التراث الباهر ، ويقول لنا : « إن من يرى الآثار التى

تحتفظ بها مصر ، يستطيع أن يتصور أى شعب هذا الذى تحدت صروحه أحداث الزمن . فهو لم يكن يعمل إلا للخلود ؛ وهو الذى أمد هوميروس وهيرودوت وأفلاطون بكنوز معارفهم التى أسبغوها على بلادهم ؛ وإنه لمن الأسف أن العلم لم يستطع بعدُ أن يكشف عن أسرار النفوس الفرعونية (الهيروغليفية) التى تغص بها هذه البلاد الغنية ، فمعرفة هذه الأسرار تلقى ضياء على التاريخ القديم ، وتبدد الظلمات التى تكتنف عصور التاريخ الأولى »

وقد تحققت أمنية سافارى بعد ذلك بقليل ، إذ اكتشف حجر رشيد ووقف العلم على أسرار اللغة الفرعونية ، وبدأت البحوث الأثرية بين الأطلال والآثار الفرعونية تكشف تباعا منذ أوائل القرن التاسع عشر عن روعة هذه المدنية الفرعونية الباهرة التى ما زالت هيا كلها وآثارها العظيمة ، مدى العصور مثال الاعجاب والاجلال والتقدير .

* * *

ويبدأ سافاري رسائله عن مصر من الاسكندرية فى ٢٤ يوليه سنة ١٧٧٧ بعد أن مكث فى مصر أكثر من عامين ، ويوجهها جميعاً إلى هذا الأمير الذى يهدى إليه كتابه ، ويستهلها بوصف جامع لجغرافية مصر ، ثم وصف بديع لمدينة الاسكندرية وآثارها الرومانية ؛ ويستعرض بعد ذلك حوادث الفتح العربى ، ودخول الاسكندرية فى ظل الحكم الاسلامي ، ويعطف على قصة مكتبة البطالسة الشهيرة ، وينقل خرافة إحراقها بأمر عمر عن بعض الروايات العربية . ويبدو مما يكتب سافارى أن الاسكندرية كانت فى أواخر القرن الثامن عشر لا تزال تحتفظ بقسط من عظمتها القديمة وتجارتها الزاهرة برغم الأحداث الكثيرة التى مرت بها . وكان مما أثار اهتمام الرحالة بنوع خاص منظر عمود السوارى وما يحيط به من الأسرار المغلقة ، والمسلات التى كانت تسمى يومئذ «إبرة كيلوباترة» والمقابر الرومانية ، أو كما يسميها مدينة الأموات

ولم يفت سافاري أن يلاحظ آثار الفتح العثمانى المخربة ؛ فهو قد درس تاريخ مصر الزاهر فى عهد الدولة الاسلامية ، واستطاع أن يقدر مما شاهده يومئذ من أحوال مصر تلك النتائج المحزنة التى انتهت إليها بعد قرنين ونصف قرن من حكم غشوم عاسف جاهل ؛ وهو يقول لنا بحق إن الفتح التركى كان خاتمة لمجد مصر وإن حكم الباشوات قضى على العلوم والآداب ، وخرب التجارة والصناعة والزراعة ، وأسبغ حجاباً من العفاء الشامل على كل ما كان لمصر الاسلامية من عظمة ورخاء

ثم ينتقل سافارى من الاسكندرية إلى رشيد ، ويقضى بها ردحاً من الزمن ، ويصف لنا رشيد وأهلها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية فى عدة رسائل شائقة ؛ ويقول لنا إن الحياة فيها ساحرة مغرية ، وإن لأهلها أزياء خاصة ، وإنهم يقصون الشعر ويرسلون اللحى ؛ ثم يقصد بعد ذلك إلى القاهرة فى مركب شراعى ، ويخترق فرع رشيد ماراً ببعض القرى الشهيرة يومئذ مثل برمبال ومحلة أمير ، ويصف لنا هذه الرحلة البطيئة الشائقة ، ويصف لنا بالأخص منظر القرويات على الشاطئ ، وكيف يهرعن إلى النهر لأخذ الماء وغسل الثياب والاستحمام أحيانا ، وكيف شهد كثيرات منهن يسبحن فى النهر نحو المركب وهن يصحن : « يا سيدى هات ميدى[1] » ويقول لنا فى لغة شعرية : إنهن يسبحن فى كثير من الظرف ، وإنهن يتمتعن بأجسام رشيقة ساحرة ، وبشرة سمراء بديعة

وفى هذه المواطن وأمثالها تبدو براعة سافارى الوصفية وتبدو قوة بيانه . والواقع أن سافارى يكتب بأسلوب رفيع سواء من الناحية العلمية أو الناحية الأدبية ؛ ولا يفوته أن يقدم إلينا خلال وصفه كثيراً من المقارنات التاريخية والأدبية الشائقة وهو من هذه الناحية يتفوق على كثير من الرحل الذين كتبوا عن مصر ؛ كما أن رسائله تمتاز كما قدمنا بطابعها العلمى الدقيق

وسنرى عند ما يتم سافاري رحلته النيلية ، ويصل إلى مدينة القاهرة أى صور قوية شائقة يقدمها إلينا هذا الرحالة العلامة عن حياة العاصمة المصرية والمجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر ؛ وسنرى أى وثيقة نفيسة تقدمها إلينا رسائله عن تاريخ مصر السياسي والاجتماعى والاقتصادى فى هذه الفترة المضطربة التى تعز مصادرها ووثائقها

فينا فى أوائل سبتمبر
« للبحث بقية »

محمد عبد الله عنانه

(١) الميدى عملة صغيرة من نقود هذا العصر

أســـباب التقليـــد
فى التعليم والتشريع
بمصر الحديثـــة
للدكتور محمد البهى قرقر

فى مقال سابق(١) حاولت أن أبين أن التقليد هو أساس التعليم
تشريع اليوم فى مصر ، أساس التعديل فى برامج التعليم والتغيير
القوانين المدنية والجنائية ، وخصصت بالذكر هاتين الناحيتين
بما مظهر الأمة الثقافى والطابع العقلى الذى يعبر عن
نفسية » الشعب .

وإذا ذكرت التقليد فلا أريد منه الناحيــة الإيجابية التى
أن تشجع وتُنمى فى زمن الطفولة ، فذلك لم يكن هو النظرية
ائدة فى التعليم والتشريع بمصر ، وإنما أقصد النوع السلبى الذى
ذلك ، أقصد النوع الذى لا يتعدى محاكاة الظواهر المقلدة ولا
إلى كيفية تكونها وهو الذى تدفع إليه العاطفة المجردة عن
ية . ولهذا قلما تتخذ الظاهرة المقلدة صفة الثبات والاستقرار ،
سرعان ما تنمحى من الوجود إذا خفيت العاطفة التى بعثت على
ها أو تغلبت عليها عاطفة أخرى تحمل على تقليد مظهر آخر .

لــكل كاتب أو مؤرخ أن يبدى رأيه فى علل هــذا التقليد
يوضح الباعث عليه . له أن يعتقد مثلا أن السبب هو رغبــة
الحديثة الفتية النشأة فى مسايرة المدنية الحاضرة والتقدم
عة إلى مصاف الدول الراقية ، فهى لذلك لا غنى لها عن التقليد ،
بد إذن من أن تتعثر فى طريقه مرة أو أكثر . ولــكن
د الناشىء عن مثل هذه الرغبة فى الأمم الأخرى هو داعماً
بسياسة مرسومة ثابتة نعرف إلى أى شىء تنتهى وأى طريق
، فهو نوع إيجابى من التقليد ، وذلك ما لا أعتقده فى الحركة
دية السائرة اليوم فى مصر لأنها حركة هوجاء متقلبة ، تهدم
ما بنته بالأمس ، وتبنى فى الغد من جديد على غير أساس .
لذلك الكاتب أو هذا المؤرخ أن يعتقد أيضاً أن العلة هى

الضعف ، إذ يشاهد أن الأمة الضعيفة تقلد القوية فى مظاهرها
لأنها ربما تتخيل المجال مفرغا فى تلك المظاهر — فهى لانحطاطها لم
تكون عندها ملكة مستقلة للجمال ، مطبوعة بطابعها الخاص ، أو
على الأقل لم تنضج عندها تلك الملكة بعد ، أو لأنها ربما تحاول
بذلك أن تستر ما بها من ضعف ونقص ؛ فما دام شعار القوى مثلا
هو القبعة ، أو ما دامت ميزته فى قوم هو ليس منهم العجمة فى
التعبير ، فربما يُخيِّل الضعيف لنفسه إذا ما وضع القبعة فوق رأسه ،
أو إذا ما أفصح عن مراده فى أمته بغير لغته الوطنية ، أو لهج لسانه
من حين لآخر بكلمات أجنبية ، أنه قد أصبح في منزلة القوى وأن
له أن يتيه كبرا وخيلاء ، ولم يدر أن سلوكه العملى الناشىء عن
صفات نفسية خاصة به ، وأن طريقه فى التفكير الخاضع لبيئته وما
ورثه في دمه عن أسلافه ينم عن أنه ما زال هو الضعيف ، ولــكنه
تزيى بزى القوى فحسب .

وربما يكون الضعف هو السبب الرئيسى والعلة غير المباشرة
لــكثير من صور التقليد ، ولــكن البحث النفسى الحديث يتجنب
الآن بقدر الامكان استنتاج قوانين عامة لجلة من الظواهر النفسية
— لأن ذلك قد مضت مدته بفقدان العلوم الطبيعية والرياضية
نفوذها على العلوم العقلية ، وتأثيرها فى تكوين كليات لها عامة
تشرح بها جزئيات متعددة — ويفتش لــكل ظاهرة عن علتها
الخاصة بها والمباشرة فى تكوينها .

والتقليد الآن فى مصر فى أهم ناحيتين من نواحيها الثقافية
والعقلية : فى ناحيتى التعليم والتشريع ، ظاهرة تغلب على نفسية
الشعب ، أو بعبارة أدق على رجاله المسئولين فى توجيه سياسته
العامة . وإذن لبحث هذه الصفة يجب استعراض المؤثرات التى
أوجدتها فى نفسية هؤلاء وتعهدتها إلى درجة النضوج . وأظن أننا
إذا رجعنا ببصرنا إلى تاريخ مصر الحديثة فى جيل سابق وجدنا
تلك المؤثرات بادية فى شىء واحد : فى الابتعاد عن التربية الوطنية
الذي كان نتيجة لخطة إحدى مدارس التعليم في مصر ولسياسة
أخرى تعليمية كانت تهيمن على مدرسة ثانية منها .

فالتعليم فى مصر ليس واحداً ، والمدرسة التى تخرج منها الشعب
متباينة النزعة مختلفة الغرض . فبينا نرى مدرسة وطنية ، وهي
الأزهر ، تعتمد فى تهذيب أبنائها على ما ورثته الأمة من ثقافة

(١) نشر فى مجلة الرسالة في العدد ٢١٠

في صورتها التي احتفظت بها من عصور مضت ، إذا بنا نرى مدرسة أخرى ، وهى مدارس الإرساليات الأجنبية ، تلقن الناشئة المصرية مبادىء تنتهى بخلق أمم متعددة فى أمة واحدة ، وبفئات من الناس مختلفة لا تجمعهم وحدة فى التفكير ولا وحدة فى الغرض . وبينما نشاهد هذه وتلك إذا ببصرنا يقع مرة أخرى على مدرسة ثالثة ، وهى مدارس وزارة المعارف ، ليس بينها وبين اللتين قبلها من صلة إلا أنها ربما تكون أو تحاول أن تكون مزيجاً منهما ، ولكنه مزيج لا ينتج عنصراً جديداً كما فقدت فيه كل من مادتيه خواصها .

فالأزهر — فى نظر علماء الشعوب والاجتماع — لا شك أنه المدرسة الوطنية التى تربط الأمة بماضيها — وإن كان ينقصها ربط الحاضر بالماضى ، وتلقن جيل اليوم ما كان لخلفه من دين ولغة وعادات خلقية وقومية ، وهو لهذا كان ولم يزل مكان الخطر على الاستعمار الغربى وعلى سياسته فى حكم الشعوب الاسلامية كما يراه الأوربيون أنفسهم الذين تخصصوا فى السياسة وفى فلسفتها . ففى المجلة[1] العلمية السياسية الألمانية « Valf in Werden » لمخرجها الأستاذ الفيلسوف السياسى Ernst Krieck الأستاذ بجامعة Heidelberg ، بحث جدير بالاعتبار عرض كاتبه لبيان صلة الاسلام ومقدار علاقة الأزهر على الخصوص بالحركات الوطنية فى الشرق تحت عنوان « الاسلام والفاشستية » فكاتب هذا البحث يرجع الحركة الوطنية الحالية ضد السيادة الفرنسية فى تونس ومراكش والجزائر إلى الأفراد الذين غلبت عليهم الدراسة الوطنية — الاسلامية — وعلى الأخص إلى أولئك الذين تلقوا علومهم فى الأزهر بالقاهرة . فالأزهر فى رأى هذا الكاتب وفي رأى كثير من أمثاله منبع الخطر على السيادة الأجنبية فى الشرق كله .

وفوق ما للأزهر من هذه الصبغة الوطنية فهو مدرسة الشعب والسواد المنتج من الأمة . ولسبب ما ، إما لأسلوبه فى التعليم « وعدم تمشيه فى وقت من الأوقات على نظم التربية الحديثة » ، أو لشعبيته ، أو لسبب آخر غير هذا وذاك ، ولت الطبقة المثرية من الأمة من أرباب المناصب الكبرى فى الحكومة وجهها نحو مدارس الإرساليات الأجنبية ، وقصدت الطبقة المتوسطة إلى النوع المزيج وهو النوع الحكومي ، وقنع الأزهر بالشعب وبأبنائه طوعاً أو كرهاً ، واضطر لهذا أن يكون بعيداً عن أفق سياسة الدولة ، لأن سيادة الروح « الأرستقراطية » وجدت فى ظل الحكم التركى ثم فى حكم الاحتلال كل أنواع التأييد فأسلوب التعليم في هذه المدرسة بعيد فى ذاته عن التهيئة إلى موجة التقليد الطاغية اليوم فى مصر والتى تنذر بالخطر ، لأنه هو نفسه ضد التقليد والعقبة فى طريقه ، وكذا رجالها ليسوا ممن يتبعون سياسة التقليد لأنهم أبعدوا عن السياسة العامة للدولة واكتفوا بالتحدث إلى الشعب عن الحياة الآخرة والسبل الموصلة إلى السعادة فيها ، وإن فرطوا بهذا الاكتفاء فى حق أنفسهم كأبناء الشعب وفى حق دينهم لإظهاره بالمظهر الروحى فحسب ، أخيراً فى حق وطنهم لإقصاء أنفسهم وهم أكثرية عن سياسة توجيه الأمور فى الدولة أو لرضاهم بهذا الاقصاء

والمدرسة الثانية ، وهى مدارس الإرساليات الأجنبية كانت — ولا تزال — تعمل على قطع الصلة بين الوطن وتراثه العلمى والدينى والخلقى ، وبين أطفاله وشبانه من أهل الطبقة العالية الذين ولوا الأمر فيما بعد ؛ إذ كانت القاعدة أن ينتخب أولو الأمر منهم ثم زودتهم بثقافة أجنبية ملؤها الدعاية لأمة من أمم الغرب ط... لجنسية الإرسالية . وإن نوع هذه الثقافة قد يكون مخ... — وفى الواقع[1] هو كذلك — عن ثقافة البلد الذى تنتمى الإرسالية اتباعاً لخطة سياسية مرسومة لم يُرد بها — كما يـ... أو كما يفهمه الشرقي البسيط — القيام بعمل خيرى من نشر ثـ... حديثة ومكافحة لأمية ؛ وإنما قصد بها ضمان السيطرة على النفو... والتصرف فى ميولها ؛ فنشأت فى الأمة فئة تجهل الأمة نفسـ... تجهل عقليتها وطباعها ، تحتقر الشعب وتهزأ بتقاليده ، ثم بعد... شاء القدر أن يكون زمامه بيدها

ولاختلاف ميول هذه الثقافة واتجاهاتها — وإن كـ...

(١) عدد يولية سنة ١٩٣٧ من العام الخامس للمجلة صفحة ٣٣٩ — ٣٤٨

(١) فى المجلة المذكورة يشير الكاتب (صفحة ٣٤٣) إلى أن فى ... نفسها لا يوجد دروس للدين فى أية مدرسة من مدارسها بينما ... الحكومة الفرنسية فى شمال أفريقيا المبشرين والارساليات التعليمية ... حدية فى نشر الدين المسيحى بين الوطنيين بنية خلق عدم الوحدة واستخدام بعضهم ضد بعض .

يتحدة في غرض الدعاية — كانت وجهة هذه الفئة الحاكمة مصوبة على العموم نحو ظواهر المدنية الغربية ، واقتباس ما يوحى به ميلها الثقافي ، لا اقتباس ما قد يتفق مع مدنية الأمة وثقافتها القديمة ما يتطلبه الشعب ولا يتعارض مع قوانينه الخلقية وسننه الطبيعية . وهنا نجد مظاهر شتى لهذا التقليد أنشأتها ميول الثقافة الأجنبية المختلفة . فمن تثقف بالثقافة الفرنسية من تلك الفئة — وهو عدد كبير — كان المثل الأعلى في نظره حضارة فرنسا وحريتها المزعومة ، وعمد إلى التقليد في مظاهر الحضارة الفرنسية ، وإلى الاقتباس من القانون الفرنسي ، لأنه يمثل في نفسه ، كما تلقن ، صورة العدالة ، وينطوي في نظره على «حب» الحرية وتقديس معنى الإنسانية — وما كان القانون الفرنسي ، ولا أي قانون وضعي آخر يمثل في يوم من الأيام صورة العدالة على الاطلاق ، ولا ينطوي على حب الحرية للحرية نفسها ، ولا يقدس الانسانية للانسانية ؛ وإلا أعطى القسوة صفة خلقية ، وأنكر على الوطني المستعمر حقه الطبيعي في الحياة مادام في ذلك حفظ السيادة الفرنسية . وماشهرة فرنسا بحب العدالة وبحب الحرية وبتقديس الانسانية إلا لما قامت من الثورة ، كرد فعل نفسي ضد حكم الظلم والاستبداد ؛ ثم استغل بعد ذلك استغلالاً أدبياً في صالحها . وللارساليات التعليمية الدعاية به وخصوصاً في الشرق قسط غير قليل . ثم تكون نتيجة هذا التقليد عكسية ، ونهاية الاقتباس خاطئة ، لأن مصر شرقية غير فرنسا الغربية ، ومصر الضعيفة الحديثة النشأة غير فرنسا المستعمرة . وبالرغم من ظهور الخطأ وعكسية النتيجة لا يدير المقلد وجهه نحو أمته ويدرس حالها النفسية والاجتماعية ، ثم يلبس ما تدعو إليه هذه الدراسة ، لأنه لم يألف الأمة ولم يتعرفها منذ طفولته .

ومن تثقف بالثقافة الانكليزية عشق تقاليد الأمة الانكليزية وأعجب على الأخص بالبرلمان الانكليزي وبمراقة الدستور الانكليزي ونظام الأحزاب الانكليزية وبتمتع الأقلية بحرية المعارضة ، فهو يحاول لميله تقليد انكلترا في مظاهرها الدستورية ونظامها البرلماني ؛ ولكنه يخطئ أيضاً في تقليده ، لأن الشعب المصري ذو صفات نفسية تغاير تمام التغيير صفات الشعب الانكليزي ؛ له طريق آخر في التفكير وأسلوب آخر في المعاملة ؛ هو شعب ناشئ لم تتركز طبائعه بعد ، ولم يروض على عادات خلقية تتناسب وفطرته ، فإذا نوقش في خطأ تقليده أصر عليه وسرد تأييداً لإصراره أقوال الساسة الانكليز والعرف الدستوري في البرلمان الانكليزي . وأولى به أن ينظر إلى الواقع وفي أي شعب هو يعيش . أولى به أن يتعلم خواص الشعوب بدل أن يحلق في خيال نظري «قانوني» لا طائل تحته . ولكن ميله الثقافي هو الذي حدد له نهاية الطريق وأملى عليه برنامج السير

ومن تثقف بالثقافة السويسرية يستهويه نظام التعليم ونظام الأسرة فيحاول تقليد الشعب السويسري ، أو بعبارة أخرى يضطر أن يسير في طريق ميوله الثقافية والتعليمية — وليس إلا طريق التقليد طبعاً — ثم لا يلبث أن يرى نتيجة تقليده بين يديه خاسرة ، لأن المصري في طبعه وفي ميوله الغريزية غير السويسري الذي هو نفسه يغاير نفسه — وبناء على هذا يتغير نظام تعليمه — في منطقة أخرى من مناطق الاتحاد السويسري . والأسرة المصرية التي حددت عاداتها طريق سلوكها في الحياة وعين دينها ولغتها طريق تفكيرها وفهمها لما يحيط بها ، غير الأسرة السويسرية التي تتطلب أيضاً بحكم الوراثة وبحكم العادات وطبيعة البلاد أسلوباً في التعليم خاصاً بها

وهكذا دواليك نجد العمل الجدي لهذه الفئة تقليداً سلبياً قلما يتحول إلى محاكاة إيجابية ، إلى « التمصير » الذي هو عملية نفسية يقوم بها الفرد كالأمة ، عملية تتطلب أولا أن تنشأ الأفراد تنشئة وطنية ثم تزود بثقافة أخرى أجنبية . وإذن يكون عمل الفرد كعمل الأمة مصبوغاً بصبغة وطنية وفي الوقت نفسه مسايراً لخطى الأمم الراقية . فالأمة اليابانية مثلا تقلد الحضارة الغربية ولكنه تقليد إيجابي ، لأنها تنظر إليها ثم تحاكيها لا في صورتها الأولى ولكن في صورة يابانية شرقية بعد ما تكون قد مزجت بينها وبين حضارتها الموروثة ووفقت بينهما . وهو لهذا تقليد فيما ينفع ، تقليد لا يمس بالخطر العوامل الأولى المكونة لحضارة الأمة ، كأمة مستقلة

لجهل الوطن وما فيه والنزوع إلى التلون بلون غربي — كما هي النتيجة الحتمية لأسلوب هذه المدرسة — من الأسباب القوية لهذا التقليد السلبي ؛ ثم اختلاف النزعة نحو هذا التلون ،

تبعاً لاختلاف نوع الثقافة ، من أكبر العوامل فى كثرة التغيير والتعديل اليوم فى سياسة الأمة التشريعية والتعليمية

وربما تكون تبعة المدرسة الثالثة ، وهى مدارس وزارة المعارف ، فى هذا التقليد أقل من المدرسة السابقة ، ومع ذلك فعليها تبعة كبيرة أيضاً ، لأنها لم ترسم لها خطة تعليمية وطنية ، أو أرغمت ، فطاوعت ، على السير وراء سياسة استعمارية ، سياسة أوربية أجنبية . فالاتجاه الذى توحى به وتخلقه فى تلامذتها لايخلو من مبالغة فى عظمة الغرب واحترام المدنية الغربية ، كأبلغ شيء وصل إليه العقل الانسانى — ولكن لا لخدمة الانسانية ولكن لسيادة القوى — وذلك يقوى غريزة التقليد فى الطفل ويدفعها إلى ناحية معينة قلما تحيد عنها أو تتصرف فى تقليدها ؛ ثم فى الوقت نفسه لا يخلو ذلك الاتجاه من النظر إلى الشرق كوطن وإلى تقاليده ودينه ولغته كمقومات لثقافته من إلقاء نظرة بسيطة عليها قلما يصحبها احترام أو يتبعها تقديس مما يدعو إلى الارتباط بها والحنين إليها

وهكذا يسير الشعب إلى غير وطنه ويقاد فى غير طريقه الطبيعي ويدفع به فى كفاح لم يتهيأ ولن يتهيأ له ، وهو كفاح ضد الطبيعة ومقتضياتها ؛ وهيهات أن يفوز إن لم تهلكه الحرب هلاكا بطيئاً ، وذلك شر أنواع الهلاك وآلمه

فمبدأ التقليد ليس معيباً إذا كان إيجابياً ، لأنه إلى جانب الفكرة الخالقة والعقل المستقل فى الانشاء من عوامل تقدم الأمة ، فما كان لأمة أن تستقل فى نهضتها العقلية بنفسها ولكن يجب عليها أن تكيفها بشخصيتها وطابعها . وهذا التكييف نفسه مدين إلى حد كبير بالاعتماد على ثقافة الأمة الموروثة أو هو نفسه المحافظة على تلك الثقافة والاعتزاز بها

واليوم آن للأزهر أن يعمل على تأدية رسالته ، من ربط حاضر الأمة بماضيها ، فى ثبات وجرأة ؛ وهى رسالة شاقة ، ولكنه راعى الواقع ، فلا يدرى إنسان متى تتهيأ الفرصة للأزهر من جديد ، فيمنحه الدهر رجلاً مستقل الفكر ، قوى الارادة ، صادق العزيمة ، متفهماً للحياة كما منحه فى السابق رجل[1] التاريخ والاصلاح ، وكما يمنحه اليوم بصنوه[2] . فما أشد تقاربهما فى الفكرة ، ولكن ما أبعد المسافة بين توليهما شؤون تلك الجامعة العالمية

وإذا كانت روح السياسة العامة الآن للدولة مشبعة بمجاملة الأجانب ومنحهم حرية كاملة فى تعليم جالياتهم وعدم إلزامهم بثقافة البلد الوطنية — كما هو الشأن فى البلاد الأوربية نفسها — فلا يصح أن تقصر تلك السياسة فى حق أبناء الأمة وتكل أمر تربيتهم إلى جهة أخرى غير الأمة نفسها . يجب أن تفهم حد المجاملة وتدرك ما ينطوى عليه حق الأمة فى استقلالها وحريتها

وإذا كانت وزارة المعارف اليوم تعنى بالثقافة الوطنية بعض العناية فيجب أن يكون الدافع لها عليها مصلحة الوطن والعمل على تحقيق استقلال الأمة لا الرغبة فى كسب عواطف الشعب أو استمالة طائفة منه خاصة ، فما أكثر تغير الشعب فى عواطفه ، ولكن ما أثبته على حب من أخلص اليه فى خدمته !

محمد البهى قرقر
دكتور فى الفلسفة وعلم النفس
وعضو بعثة الامام الشيخ « محمد عبده »

(١) الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
(٢) الأستاذ الأكبر المراغى

من الأدب الرمزي

فيما وراء الطبيعـــة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

رَكْبٌ مَسُوق إلى مايجهل بعصاً قاهرة يقظة فلا التفات ولا اعتراض ولا جُموح ...

من الذَّرَّات التى لاتدركها الأبصار لدقتها وصغرها .. إلى الذرات الضخمة التى لاتدركها الأبصار لجلالتها وكبرها ، يتألف الركب المسوق المدفوع الذى لايعرف من أين ولا إلى أين

لقد وُلد فيه كل شىء أثناء الرحلة فَحَىَّ مسافراً وهلك مسافراً ..

يسير الزمان والمكان فى الركب المهدود ، وتسير الابعاد والحدود ، والمُهود واللُّحود ، والحركة والجود ، والموت والحياة ، والظلمات والنور ، أضداداً مؤتلفة ونقائض مجتمعة في صمت .. !

السموات شاخصة العيون إلى الأرض .. والأرض شرئبة الأعناق إلى السماء .. واللجة مقبلة فى لهفة على شاطىء ... والشاطىء واقف يترقب اللجة .. وهكذا يرنو كل شىء إلى كل شىء .. زوارق سائرة فى لجة لايعلم لها شاطىء ... أجسام هابطة أبداً الى غير قرار ... كل شىء يدور على نفسه نحو كل أفق ليرى النهاية ، فلا يرى إلا أشياء ثُرة مثله ...

أبداً تخرج الحياة من الموت ويخرج الموت من الحياة ليهدا سير الركب ؛ ثم يفنيان فى الطريق ...

أبداً تسافر الأضواء فى ملايين سنيها محاولة كشف النهاية لا تقع إلا على ذرات ترسل أضواءها ...

الرحلة طويلة شاقة ومع ذلك فليس فيها مراحل ولا مواقف ...

الصمت والصبر شعار القافلة إلا صُراخاً ينبعث من «أكثر شىء جدلاً » . من الانسان . صاحب الجمجمة الدائبة على التلفت إلى الوراء، والتطلع إلى الأمام ، وسؤال كل شىء : أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وإلى أين تنتهى ؟ ولماذا نحن هنا ؟ هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ » فيجيبها كل شىء : (ما المسئولُ بأعلمَ من السائل ...) ثم يردد كل شىء صدى تلك الكلمة الكبيرة المعزِّية : « ما أشهدتُهم خلقَ السموات والأرضِ ولاَ خلقَ أنفُسِهم »

الركب سائر بانسجام ونظام ... وهذا هو موسيقاه التى تستحثه وتنديه وعناء السفر ...

من جمح وحاد عن طريق الركب ضل واحترق ضلالَ النيازك والشهب واحتراقها ...

كل شىء قانعٌ بالنظر إلى عصا القهر المرفوعة عليه أبداً ، إلا هذه الجمجمة .. ! فهى تحاول جهدها أن ترى اليد القابضة على العصا ... ومن هنا تعبت من النظر وزاغ منها البصر وتراجع حتى لم تعدْ ترى العصا إلا فى يدها هى المصنوعة من الطين .. ! فعبدَت نفسها وسجدت لها .. !

* * *

ألا يا عابد البطولة الإنسانية وفادبها ومالئ كئوسها من دمه ومحرق حبة قلبه بخوراً لها .. ! ليس هذا موقع العبادة من قلب الإنسان والفكر المدله من رأسه ... وإنما هذه العصا المرفوعة أبدا هي مكان السجود ... فارفع جبهتك كثيراً كثيرا لتسجد عليها فوق .. !

أنظر إليها وحدها واجد كما جد لها قلب الجبل ... واخفق كما خفق لها جوف البحر ... واعصف كما عصفت لها جوانح الريح ... واصفر كما اصفر منها وجه الصحراء ... والتهب كما التهب بها وجه الشمس ... وسر كما سار أمامها الركب المسوق .. !

أنظر إليها دائما فهى تشير إلى الطريق ... فإذا عميت عنها فهي شعلة تحرق البصر ... وسر فى طوعها دائماً فهى حماية وسلاح ... فإذا شردت كارهاً فهى صوت وصاعقة .. !

* * *

قال لي ضباب مبهم فى نفسى : لم تحوم حول اللجة ولا تضرب فى أعماقها ؟

قلت : أنا عاجز قاصر ضئيل محدود ... فليس لى يدان باقتحام عالم القدرة والاستطالة والجلالة واللانهائية !

قال : لقد أتيت بشىء مما في اللجة وأنت لما تزل على الساحل...

قلت : كذلك الذى يأتى به الطير البحرى المتربص على الساحل : سمكة ميتة طافية قذف بها جوف البحر ... أو صفيرة خفيفة مبذولة

لأنها ليست من الزجاجة بحيث تختفي في عالم العمق والاحتجاب ...

قال: لقد أفرغت نفسك من كل شيء وهيأتها لصداقة الطبيعة وأفهمتها أن تتصل بها اتصال بُنُوَّة بأمومة؛ فلا تفزع من هولها وقسوتها ولا تجفل من غموضها وإبهامها، ولا تشمئز من وجوه القبح فيها، ولا تجمد أمام وجوه الجمال بها، ولا تغفل عن الدقيق، ولا تقصر عن إدراك الجليل؛ وحقيق على من انتهى إلى هذا أن يبتدئ بشيء آخر . . .

قلت: أجل! كما يبدأ ثور الطاحون من حيث ينتهي . . !

قال: لولا الغطاء الذي على عيني الثور لجمح وأبى الدوران على محيطه الضيق

قلت: لو استطاع الثور أن ينزع ذلك الغطاء عن عينيه لحُلَّت العقدة ... فما دامت هناك يد غير مدفوعة تضع ذلك الغطاء فهو عاجز مملوك يرى السلامة في التسليم والدوران . . . وإلا فظهره مبسوط مكشوف والسوط له حاضر . .

* * *

لقد قلت لنفسي يوماً: سأبعثك للارتياد فيما وراء الزمن والفلك فاسمني الريش وأعدي الجناحين ... فإذا وقفت هناك فلا يَخْسأنَّ بصرك دون أن ترى طرفي الركب المسوق . . سيكون ذلك عسيراً ولكن تجردي وامتدي فإن فيك قوة على ذلك . .

وقلت لها: إن المكان سينتهي . . . فترين الفراغ وعماياته ومهاويه التي ليس لها قرار .. فطيري فيه مغمضة العين، واضربي فيه بمجموع الإدراك لا بأفراده فإنها تغرق في لججه وظلماته ..

وقلت لها: أعدي السمع للموسيقى التي تميت طرباً، والعينَ للأضواء التي تحرق لهباً . . واللمس والذوق لما لا يلمس ولا يذاق

وقلت لها: هناك كلام دائم قديم فاملئي معانيك منه واحذري أن تحدثي به ناس الأرض . . وسترين كل ما كان في الأرض هناك في منطقة الصمت الذي يصعق، والسكون الذي يهول . . سترين ما يقال إنه تبدد من الأضواء والأصوات وأمواج الخلائق ووَمَضات المعاني . .

وقلت لها: ستمرين بالقوى المطيعة أبداً، العاملة بلا ضعف يلحق ولا فتور ولا سأم، القائمة على مراقبة الذرات في حركاتها وتنقلها، والحبات في تولدها وانفلاقها، والرياح في انسيابها واندفاعها، والأمواج في رحلاتها ومدها وجزرها، والأضواء في انبثاقها وفيضانها، والظلمات في انطباقها وانفراقها، والأجرام في نثارها ونظامها ... فقفي هناك طويلا وتعجبي من صبر هذه القوى المجندة ويقظتها وطاعتها، واملئي سمعك بنشيدها وهي هاوية صاعدة راكعة ساجدة تحت المشيئة الواحدة القاهرة الضاربة على العوالم بنطاق من العلم والقهر، فلا رد ولا اعتراض ولا هرب من أقطارها ...

وقلت لها: ربما تستطيعين الوصول في خطفة من خطفاتك إلى المنطقة الثابتة التي لا تتغير ... فإن كان ذلك فاحذري أن تتوغلي في متاهاتها! فربما لا ترجعين إلى ثوبك الأرضي ثابتة فيتركك في الأرض معذباً مجفواً لا يفهمه الناس ولا يرحمون ... فاحذري!

وقلت لها: التراب عنصر كثيف ثقيل يزيد «ثقله النوعي» كلما بعد عن نطاق الأرض، ولو كان نضرة خد أو حرير ورد، أو عبير زهر، أو نغم وتر! فخففي رحلك منه حتى تسرعي ...

وقلت لها: لا تنسي أن تلقي بنظرة منك على الذرَّة التي أنت منها ... وحاولي أن تتبيني مكان هذا الذي يقول فيها: أنا إله! ستربنه قزماً يدب ممسوخ القوام ... وقد كان يستطيع أن يتطاول ببعض ما فيه لو عقل وأراد ورأى عصا القهر التي تدفع عجلة الفلك...

قلت لها كل ذلك فقالت: يا هذا الذي يصنع الألفاظ ويحاول خديعتي بها . ! يا من

يُشَمِّر لِلُّجِّ عن ساقه ويغمره الموج في الساحل!

عش كهذا الطير الساحلي مكتفياً بالنظر إلى اللجة الرجراجة الهائلة، قانعاً بما تقذفه إليه من النفايات، عالما بأنه مخلوق مُمَهد للساحل وحده، فهو دائماً ينكتُ بمنقاره في الرمل والقواقع وغثاء البحر ...

هو يعلم أن في جوف اللجة سمكا كثيراً صغيراً وكبيراً يشبع جوعه الذي يحسه في دوام ... ولكنه يعلم كذلك أنه لو تقدم خطوة نحو اللجة لا بتلعته حقيقة من حقائقها وغاب فيها قبل أن يبتلع إحداها وتغيب فيه ... عش هكذا دائراً على نفسك في محيطك الضيق مادام على عينيك الغطاء . . .

وابحث في لجة نفسك عن الأشياء التي تنشدها فلعلك تجد منها صوراً صغرى تدركها بالوحي الصغير إدراك النبوة للكبرى بالوحي الكبير . . .

* * *

ابن العديم وتآليفه

للأستاذ محمد كرد علي

كان كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ هـ) من بيت علم . تولى خمسة من أهله منصب قاضي القضاة بحلب ، وأكثرهم على جانب من الأدب والفضل ، وكلهم مذ كان الاسلام يحفظ القرآن . وكان كمال الدين هذا محدثاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً محموداً . درس وأفتى وصنف ، وترسل عن الملوك ، وكان رأساً في الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشي « يقرأ الخط العقد كأنه يقرأ من حفظه . وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد مقالة لأبي عبد الله بن مقالة ، وبدر ذو كمال ، عند علي بن هلال » « وهو أكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب » ترجم له ياقوت في معجم الأدباء عرض لتراجم أهله ، وكان ياقوت اجتمع بكمال الدين ، وأخذ نه وبالغ في مدحه ، وقال إن من أجداده بني أبي جرادة ، وكان بناء العديم يُعرفون بهذا اللقب وقد كتب بخطه ثلاث خزائن ن الكتب : واحدة لنفسه وخزانتين لابنيه ، لكل منهما خزانة ل ياقوت وأنشدني لنفسه وبإملائه بحلب في ذي الحجة سنة ٦١٩ وكان كمال الدين شاباً) :

وسحرة الأجفان معسولة اللمى
مراشفها تهدى الشفاء من الظما

حنت لي قوسي حاجبيها وفوّقت ... إلى كبدي من مقلة العين أسهما
فواعجبا من ريقها وهو طاهر ... حلال وقد أضحى عليّ محرما
فإن كان خمراً أين للخمر لونه ... ولذته مع أنني لم أذقهما
له منزل في ربع قلبي محله ... مصون به مذ أوطنته لها حمى
جرى حبها مجرى حياتي فخالطت ... محبتها روحي ولحمي والدما
تقول لي كم تقتني العيش أنكدا ... وتقنع أن تضحى صحيحاً مسلما
فسر في بلاد الله واطلب الغنى ... تفز منجداً إن شئت أو شئت مُتهما
فقلت لها إن الذي خلق الورى ... تكفل لي بالرزق منًّا وأنعما
ومنصري أن كنت رب فضائل ... وعلم عزيز النفس حراً معظما
إذا عدمت كفاي مالاً وثروة ... وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

ونظن البيت الأخير مقحما إقحاماً في هذه القصيدة ، لأنه بيت من قصيدة مشهورة لعلي بن عبد العزيز القاضي من أهل القرن الخامس التي يقول في مطلعها :

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

قال ياقوت بعد إيراد هذه القصيدة : ولا يظن الناظر في هذه الأبيات أن قائلها فقير وقير ، فإن الأمر بعكس ذلك لأنه ، والله يحوطه ، رب ضياع واسعة ، وأملاك جمة ، ونعمة كثيرة ، وعبيد وإماء وخيل ، ودواب ، وملابس فاخرة وثياب . ومن ذلك أنه بعد موت أبيه اشترى داراً كانت لأجداده قديماً بثلاثين ألف درهم ؛ ولكن نفسه واسعة ، وهمته عالية ، والرغبات في الدنيا بالنسبة إلى الراغبين ، والشهوة لها على قدر الطالبين . قال ياقوت : وكان إذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ، ويجلس فيها ويكتب ، ورحل إلى العراق ومصر والحجاز

ويقول ياقوت أيضاً إن كمال الدين صنف مع هذه السن كتباً منها كتاب « الدراري في ذكر الذراري » ، جمعه للملك الظاهر غازي ، وقدمه إليه يوم ولد ولده العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب . وكتاب « ضوء الصباح في الحث على السماح » ، صنفه للملك الأشرف ، وكان قد سير من حرّان بطلبه ، فانه لما وقف على خطه اشتهى أن يراه فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه ، وخلع عليه وشرفه . وكتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة»

ومع هذا لا يزال الضباب المبهم يناديني ويسألني سؤاله ... نا أنادي :

لمحة من النور الذي عندك ضحاه الدائم الذي لا يغيب يا هادي ركب وصاحب القافلة ... النور الذي تهتدي به ظلمات الدنيا ضواؤها إلى مسالكها ومسارنها ومواقعها ... النور الذي طيت به كل شيء خلقه ثم به هديته ...

النور الذي اهتدت به كل ذرة في بناء العالم وكل خلية في سمه وكل قوة من قواه إلى مكانها وعملها ... ثم إعانة بطرف ساك إلى المخبوء وراء الزمان والمكان والأجرام والشواخص لكثافات ... ثم قدرة على الانفصال عن الركب لأشهده كله ليو يسير . . !

(الاسكندرية) عبد المنعم خلاف

وأنا سألته جمعه لجمعطي وكتبه في نحو أسبوع وهو عشرة كراريس . وكتاب في الخط وعلومه ، ووصف آدابه وأقلامه وطروسه ، وما جاء فيه من الحديث والحكم ، وهو إلى وقتي هذا لم يتم . كتاب « تاريخ حلب » في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء ، ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية والملوك والأمراء والكتاب ، وشاع ذكره في البلاد ، وعرف خطه بين الحاضر والباد ، فتهاداه الملوك . ومن كتبه تبريد حرارة الأكباد ، في الصبر على فقد الأولاد . وكتاب « دفع التجري عن أبي العلاء المعري » وكتاب « التذكرة » وهو في أجزاء في دار الكتب المصرية أولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر ، وفي هذه الأجزاء قصائد جيلة لأناس من معاصريه ورسائل منثورة وغيرها (راجع ما كتبناه في هذه التذكرة في المجلد السابع من مجلة المقتبس ص ٨١١) . ومما نقله أبيات للسابق أبي اليمن محمد بن الخضر المعري وهي :

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسميُّ ثم الوليّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتري

إلى أن قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعيُّ والفلسفيُّ
غير أني أرى الأطايب شزراً وحليف الإفلاس عنها قصيّ

وكان في حلب في ذاك الزمن جلة من العلماء كما قال الشاعر، بل إن من قراها ما كان أشبه بدار علم مثل معرة النعمان وكفر طاب، وكفر طاب اليوم مزرعة خربة

ومما اقتبسه في هذه التذكرة أبيات لسنان صاحب الدعوة

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بسالم
فاستحيِ إن الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم

وسنان هذا هو أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب راشد الدين صاحب قلاع الدعوة دعوة الاسماعيلية ، ومقدم الفرقة الباطنية بالشام ، وإليه تنسب الطائفة السنانية . وهو الذي كتب إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب جواب كتاب هدده فيه ، على ما نقل ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان ، وافتتحه بقوله :

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى بإصبعه يكفيه ماقد تلاقى منه إصبعه

ثم أردف هذه الأبيات بكتاب كله تهديد لصلاح الدين .

وقد كتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدها

وفي خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق نسخة من كتاب دفع الظلم والتجري ، وسماه هناك « كتاب الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » وهو مخروم من آخره نقص منه بيت القصيد وهو تبرئة المعري من التعطيل ، وكان أعداؤه ينحلونه أبياتاً ليصححوا دعواهم عليه انحلال العقيدة . وفي هذا الكتاب فصول جيلة في نشأة المعري وعماه وشيوخه ورحلته إلى بغداد وقوة حافظته . وقد استفدنا منه أنه كان عند أبي العلاء أربعة كتاب في جرايته وجارية يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس ، وما يمليه من النظم والنثر والتصانيف ، وكتب له جماعة من المعرة أخصهم أنسباؤه ومنهم ابن أخيه ، وكان ملازماً لخدمته ويكتب له تصانيفه ، ويكتب عنه الإجازة والسماع عمن يسمع منه ويستجيزه ، وكتب تصانيفه بخطه حتى يقع بخط من المصنف الواحد نسختان وأكثر . واستفدنا منه أن المعري زار دار العلم ببغداد لا دار العلم في طرابلس ، ولم يكن في طرابلس دار علم ، وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك بن عمار في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة . وأبو العلاء مات قبل جلال الملك في سنة تسع وأربعين واربعمائة

وأهم مصنفات ابن العديم على مايظهر تاريخ زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، أخذت بالتصوير الشمسي من إحدى خزائن الأستانة وهي في ثلاث مجلدات . بدأ كتابه بجغرافية حلب والبحيرات التي في أعمالها وما فيها من الجبال وما جاء في صحة تربة حلب وهوائها واعتدال خراجها وصفة مائها ، وما ورد من الكتابة القديمة على الأحجار بحلب وعملها . وعقد فصلا في بيان أن معاوية ومن كان معه بصفين لم يخرجوا عن الإيمان بقتال عليّ عليه السلام ، وفصلا في ذكر ماجاء في الكفّ عن الخوض في حديث صفين . وذكر الراوندان وعين زربة وبهسني والمرزبان والشمروبكاء

وعربسوس ، وفصلا فى ذكر فضائل الشام ، وحلب وقويق نهر حلب وما ورد فيه وذكر الغراب ومخرجه ومعرفة من حفره ، وذكر جيحان نهر المصيصة وسيحان نهر أذنة والعاصى نهر أنطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس ، وذكر البحر الشامى ويعرف ببحر الروم . وأشار إلى مايتعلق بحلب وأعمالها من الملاحم وأمارات الساعة . وعقد فصلا فيمن نزل من قبائل العرب بأعمال حلب ومن كان قبلهم فى سالف الحقب ، وهو من أهم فصول كتابه . وذكر من نزل فى أعمال حلب من حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وعقد باباً فى فتح حلب وقنسرين وما تقررت عليه أحكامها ، ونقل شرط عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) على أهل قنسرين وهو على الغنىّ ثمانية وأربعون، وعلى الوسط أربعة وعشرون ، وعلى المدقع اثنا عشر يؤديها بدينار — والغالب أنها دراهم والدرهم على الأكثر عشر الدينار ، ويقدر الدينار بنحو نصف جنيه مصرى ذهباً — وعلى مشاطرة لنازل بينهم وبين المسلمين وألا يحدثوا كنيسة إلا ما كان فى بديهم ولا يضربوا بالناقوس إلا فى جوف بيعة ، ولا يرفعوا سواتهم بالقراءة ، ولا يرفعوا صليباً إلا فى كنيسة ، وأن يؤخذ نهم القبلى من الكنائس للمساجد ، وأن يُقْروا ضيوف المسلمين ثاً ، وعلى ألا يكون بين ظهرانى المسلمين الخنازير ، وعلى أن اصحوا المسلمون ولا يغشوهم ولا يمالؤا عليهم عدواً ، وأن يحملوا اجل المسلمين من رستاق إلى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح لا يحملوه إلى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى فى المسلمون له ، ومنعوه عما يمنعون به نساءهم وأبناءهم ، ومن تهك شيئاً من ذلك حل دمه وماله وسباء أهله وبرئت الذمة ه ؛ وكتب بذلك كتاباً . وهذا الكتاب فيما نذكر لم يرد بهذا نص فى كتب الفتوح والبلدان المشهورة

ومما روى ابن العديم قال : وأخبرنا قاضى العسكر أبو الوليد د بن يوسف بن الخفرقال : كانت حلب من أكثر المدائن شجراً فنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين خشيد أبى بكر محمد بن طغج ، فإن الإخشيد كان ينزل على لب ويحاصرها ويقطع شجرها ، فإذا أخذها وصعد إلى مصر سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك ، وتكرر ذلك منهما حتى فنى ما بها من الشجر . واتفق بعد ذلك نزول الروم على حلب وأخذ المدينة فى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ففنى شجر الشربين لذلك ، وكانت الوقعة بين سيف الدولة وبين الدمستق فى هذه السنة فى سفح جبل بانقوسا وسميت وقعة بانقوسا . وقال فى سيف الدولة إنه كان يتشيع فقيل على أهل حلب التشيع لذلك .

ومما ذكره جبل برصايا وقال إنه جبل عال شامخ شمالى عزاز يشرف على بلد عزاز وكورة الأريتق (الأرتيق) وتحتهما قرية يقال لها كفر شيغال وقفها نور الدين محمد بن زنكى على مصالح المسلمين . وهذا الجبل بين عزاز وقورس . وذكر ما فى حلب من اعزازات وما فيها وفى أعمالها من العجائب والخواص والطلسمات والغرائب . وقال إن حلب من الأرض المقدسة ، وإن أهل حلب فى رباط وجهاد ، وإنها كانت باب الغزو والجهاد ، ومجمع الجيوش والأجناد ، وذكر صفة مدينة حلب وعماراتها وأبوابها وما كانت عليه أولا وما تغير منها وما بقى . ثم ذكر فصولا أخرى فى فضلها وفضل قنسرين وفصولا فى أنطاكية ، ومنبج ، ورصافة هشام وخناصرة ، وبالس ، وحياد بنى القعقاع ، ومعرة النعمان — نسبة للنعمان بن بشير — ومعرة مصرين ، وحاضر قنسرين وسرين وكفر طاب ، وأفامية ، وشيزر ، وحماة ، وبغراس (بيلان اليوم) والمصيصة ، وعين زربة ، واذنة ، والكنيسة السوداء ، وطرسوس ، وذكر كيفية النفير بطرسوس وكيف كان يجرى أمره ، وعقد فصلاً لفضل طرسوس والحصون المجاورة لها وللمصيصة وانطاكية ، وذكر حصن ثابت بن نصر وهو الذى كان مشهوراً قبل الثغور وبنائها ، وذكر حصن مُجَيْنَف ، وحصن شاكر ، وحصن الجوزات ، وعرض لتل جبير ، وأولاس ويقال له حصن الزهاد ، وذكر الهارونية ، وحصن الأسكندرونة ، والتينات ، والثقب ، وسيسيه ويقال لها سيس وهى مدينة قريبة من عين زربة إلى غيره من الحصون ، وذكر مرعش والحدث المعروفة بالحدث الحمراء ، وزبطرة ، وحصن منصور ، ومكظية ، وشُمَيْساط ، ورعبان ، ودلوك ، وقورص وكيسوم . فاستدللنا بهذا أن عمل حلب كان يتناول قسماً مهماً من الجزيرة ومعظم بلاد قاليقلا ، وبعض بلاد آسيا الصغرى (ويقع الكتاب فى ٥١٨ صفحة وعدد أوراقه ١٩٦)

محمد كرد على

تطور علـــم الـكلام

فى رسالة انقاذ البشر من الجبر والقدر

للأستاذ محمد على كمال الدين

من آثار الماضين المطمورة فى الخزائن رسالة « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » للشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ ﻫ . وقد قام بنشرها وطبعها الشاب الفاضل على الخاقانى النجفي عضو منتدى النشر فيها .

لم تقتصر هذه الرسالة على طلاوة الحديث وسهولة الأسلوب فقط، بل استهلت بمقدمة وجيزة متقنة الترتيب والتنسيق والتأليف ، عرضت لتاريخ تطور علم الكلام لم نجدلها مثيلا فى مطولات الكتب. ويدرك الباحث قيمة هذه المقدمة عند مقارنتها مع مقدمة مختصر كتاب الفرق بين الفرق ؛ فقد كان المؤلفان متعاصرين فضلا عن أن لها سبقاً فى التأليف على معظم مؤلفى الكتب المتداولة اليوم فى مثل هذه الموضوعات

لقد قارنا بين المقدمتين فوجدنا شبها بين مسلكى المؤلفين ، ولو أن بين موضوعى الكتابين فرقاً ظاهراً . أما وجه الشبه فإن كلتا المقدمتين تبحثان عما جد من نقط الخلاف بين المسلمين . وأما وجه الافتراق فإن مقدمة مختصر كتاب الفرق بين الفرق لم توضح العوامل النفسية والاجتماعية الداعية لهذا الاختلاف ، وأنها لم ترنا نظرية جديدة فى أسباب هذه الحركة الفكرية ؛ أضف إلى ذلك أنها قرنت نظرية الاستطاعة مع نظرية القدر فى حين أن هذا الاقتران لا يصح منطقياً إلا على رأى القائل : إن القدر مرادف للجبر ، وهو خلاف رأى ذلك المؤلف نفسه ؛ فإن بحث الاستطاعة وتقدمها وتأخرها عن الفعل إنما حدث بين علماء الجبر أنفسهم ، فكأنما المؤلف غفل عن التطور الفكرى والظروف والمدارج العقلية التى يمكن للنظريات أن تحل أو تخلق فيها ؛ فى حين أن مقدمة المرتضى كما ستراها علميــة فنية ، فقد بدأت فى نظرية نسبة المعاصى ونفيها عن الله ، ثم أعقبت ذلك بنظرية العدل فنظرية الاعتزال يعني المنزلة بين المنزلتين ، وتلاها بنظرية القدر ويعني بها الجبر ؛ على أنه راعى فى ذلك كله العوامل النفسية والاجتماعية المباشرة لخلق مثل هذه النظريات التى جاءت مرتبة بعضها وراء بعض فكان منها علم الكلام

وهذا هو الذى دعاني إلى العناية بدراسة هذه المقدمة وإلى تحليلها فلعلنا نستنتج تاريخ علم الكلام وتطور نظرياته . قال الشريف :

« واعلم أن أول حالة ظهر فيها علم الكلام وشاع بين الناس فى هذه الشريعة هو أن جماعة ظهر منهم القول بإضافة معاصى العباد إلى الله سبحانه ، وكان الحسن ابن أبى الحسين البصرى ممن نفى ذلك ووافقه فى زمانه خلق كثير من العلماء كلهم ينكرون أن تكون معاصى العباد من الله ، منهم محمد الجهنى وأبو الأسود الدؤلى ومطرف ابن عبد الله ووهب ابن منبه وقتادة وعمر ابن دينار ومكحول الشامي وغيلان وجماعة كثيرة لا تحصى ؛ ولم يك ما وقع من الخلاف يومئذ يتجاوز باب إضافة معاصى العباد إلى الله سبحانه ونفيها عنه وغيره من هذا الباب »

فأنت ترى أن الشريف بدأ مقدمته يبحث نفسى علمى عن الحالة التى ظهر فيها علم الكلام وهو وإن لم يصور فى المقدمة تلك الحالة بوضوح وجلاء إلا أن تحليلها العلمى يكشف لنا عنها ؛ فقد درج فيها مثلا جماعة من أكابر التابعين ممن تصدوا لنفى ذلك القول ؛ ومن تصدى مثل هؤلاء العلماء تتجلى لنا أهمية هذا القول وقيمة القائلين به ومبلغ تأثيرهم وتأثيره فى أفكار الناس ، كما أن وجود أبي الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ ﻫ بين هؤلاء الجماعة النافين ، وهو المعروف بعلمه ومكانته ، يدل دلالة صريحة على أن البدأ فى هذا القول لا يعدو هذا التاريخ ، أى لا يعدو سنة ٦٩ كما يدل على وجود رأى خاص بعلماء النفى . فنحن الآن نبحث نقطتين إحداهما العوامل التى كونت ذلك القول ، وثانيتهما علماء النفى ورأيهم وكيفية تكون هذا الرأى .

(١) عوامل نسبة المعاصى إلى الله .

أما الحالة والعوامل النفسية التى دفعت إلى هذا القول فيمكن استنتاج رأى الشريف فيها من موضوع البحث نفسه . بحث

المعاصي ، فانه من الواضح أن العرف والعادة يقضيان باستحالة ظهور هذا البحث فجأة وبدون أسباب ، في حين أن الذي كان عليه المسلمون ونشأوا عليه هو الطاعة طاعة الله ورسوله التي تجلت أسبابها في عهد النبي والصحابة . فهل يمكن تغيير اتجاه الأمة فجأة ، من هذا التوغل في الطاعة إلى البحث في المعاصي دون أن تجد عوامل اجتماعية وروحية مما تدفع إلى هذا التغير

والسيد المرتضى لم يساعده الايجاز في مقدمته على بيان عوامل البحث في المعاصي ، وربما كان معتمداً على فهم القارىء واستنتاجه فان الباحث إذا رجع إلى الاحداث التاريخية قبل سنة ٦٩ يجد أنها بدأت في مقتل عثمان وثنت بوقعة الجمل وحروب صفين ، وناهيك بمفعول هذه الأحداث وعظيم أثرها على الفطرة العربية والايمان المتغلغل ، فكان أن تمخضت عن خروج الخوارج المتصلبين في نظرياتهم الدينية والذين لم يكتف بعضهم بتخطئة علي ومعاوية وأصحابهما بل يريدون من الناس أن يحكموا بكفرها وكفر من ناصرها . وهـذه الأحداث هي التي كونت نظريتهم في تكفير مرتكب الكبيرة وهي كما ترى عين نظرية المعاصي المبحوث عنها غير أنها توسعت بنسبة هذه المعاصي إلى الله .

وهنا يجد سؤال : كيف ومتى توسعت نظرية تكفير ذوى المعاصي فشملت إضافة هـذه معاصي العباد إلى الله تعالى ؟ وبتعبير أوضح كيف تطور الموضوع من إيجابي لدى فريق إلى سلبي لدى فريق آخر ، ومن تكفير مطلق إلى تبرئة مطلقة ، في حين أن طبائع الجماعات والأحزاب المتطاحنة تسترسل بالطعن بعضها في بعض باصرار وشدة . وإن رأت الاعتدال فانما يكون في الإعراض والاغفال لا في التبرئة ، فان من المعلوم أن نسبة عصيان العبد إلى ربه تستلزم نقض ذلك التكفير وتخفيف وطأته ، وذلك يستحيل تحقيقه عقيب تلك الأحداث الدموية أي عقيب سنة ٤٠ ، نعم يمكن أن يتكون من إصرار الخوارج على التكفير ومن حركاتهم الطفيفة ضد معاوية والعنيفة ضد ابن الزبير ، ومن موقفها ضد عبد الملك وعامله الحجاج يمكن أن يتكون من جميع هذه عوامل لتهيئة نفسية الأمة في تكوين جماعة ذات رأي في تبرئة الصحابة بقصد مناضلة الخوارج ، والوقوف ضد تيارهم كما

أن الأحداث التي قام بها يزيد بن معاوية والتي فتنت الناس في دينهم ولطخت ثيابهم بدم الحسين وبدماء أهل المدينة ، وأيضاً حصار مكة المكرمة من قبل الحجاج لا بد أنها ولدت في نفوس الناس الشك والحيرة في العاقبة وسوء المنقلب ، فمن الجائز أنهم لجأوا إلى وسيلة تبرئة الصحابة والتابعين كيما يحصلوا هم على هذه التبرئة ضمناً فنسبوا معاصي العباد إلى الله . ونحن نرى أن نشوء فئة تبرئ الأحزاب وتصحح أعمالها وأغلاطها لا يحصل عادة إلا بعد استقرار الوضع السياسي واطمئنان النفوس ، وأيضاً بمعونة جيل جديد ينضم إلى بقايا تلك الأحزاب ؛ فمن هذا النشء الجديد ومن أولئك البقية الذين كانوا شباناً عند تلك الحروب والفتن الداخلية التي انغمسوا فيها مسبوقين غير مختارين ؛ فمن هؤلاء وأولئك يجوز أن تتكون فئة مختلطة تفكر أو تعتقد بتبرئة السلف — وبتعبير آخر يمكن أن يحدث على عهدها مثل هذه النظرية التي خلقها التطور الفكري — والسيد المرتضى وإن اكتفى بذكر النظرية عن تحديد وقتها أو تعيين الجيل الذي اعتنقها فاني أرى أن خير جيل وأفضل وقت يمكن أن تتجلى فيه نظرية نسبة عصيان العبد إلى الله هي المدة بين سنة ٦٠ و ٦٩ مراعين في ذلك سنن الاجتماع ومدى تطور عقلية الجماعة .

وإجمال القول أننا جعلنا التسعة والعشرين عاماً بين سنة ٤٠ و٦٩ هي المدة التي تطورت فيها النظرية من قضية بسيطة إلى قضية مركبة ، أو من دور الشعور بها فالتفكير ، إلى دور نضوجها وبروزها نظرية ثم معتقداً ، ذلك المعتقد الذي اضطر أبا الأسود الدؤلي وإخوانه التابعين إلى إنكاره . ومن الأدلة على صحة رأينا هذا هو المكانة العلمية التي كان عليها الحسن البصري كما يظهر من قول المرتضى (وكان الحسن بن أبي الحسين البصري ممن نفى ذلك) فانك تعلم أن مثل هذه المكانة لا ينالها إلا من قارب عمره ٣٩ عاما وقـد كانت ولادة البصري سنة ٣٠ هـ وعليه لابد وأن تكون المدة من ٦٠ إلى ٦٩ هي القدر المتناسب لخلق نظرية نسبة المعاصي لله .

(٢) علماء النفي ورأيهم :

أما علماء النفي فيظهر لنا من المقدمة أن المرتضى يرى أنهم

جمع غفير من السلف الصالح فانه بعد ما ذكر سلسلة صالحة من التابعين ألحقها بقوله : مع جماعة كثيرة لاتحصى . والمنطق يحكم فى ذلك . فان سواد الأمة ورجال العمل فيها مسوقين طبعاً لرفض نسبة معاصى العباد إلى الله ، ذلك القول الذى ينفر منه الحس ولا يقبله العرف فقد عسر على فهم الناس الإذعان بأن الـكفر والفسق وسائر الأجرام التى يرتـكبها العصاة عادة — تنسب إلى الله وهو فى الوقت نفسه العادل الرؤوف الرحيم . فـكان رأى هؤلاء القول بالعدل وأنهم ينفون أن تنسب معاصى العباد إلى الله .

ويضيف المرتضى إلى ذلك أنه لم يكن فى ذلك الدور الذى حصرناه بين ٦٠ و ٦٩ غير بحث المعاصي نفياً وإثباتاً .

فان قيل إن النقطة الأولى أعنى البحث فى نسبة المعاصى لله يؤول إلى القول بالقدر الذي هو بمعنى الجبر على رأى المرتضى ، وأيضاً النقطة الثانية أعنى البحث فى نفيها عنه بنسبتها إلى الانسان تؤول إلى القول بالاختيار وهو الذي يدعوه المرتضى العدل . قلت : ولـكن هذا المآل لايتحقق فعلا قبل تفهم الأمة حقيقة بواعثه نفسها وقتلها بحثاً ودرسا ثم تطبيقاً ، ومن الجائز تحقق ذلك وتحقق هذا المآل ولـكن بعد سنة (٦٩) أى بعد تقادم نظرية نسبة المعاصى ونفيها ، وأيضاً بعد مرور زمن يتناسب مع مدى تقدم عقلية الأمة ، وعليه فيـكون عهد نظرية القدر ونظرية الاختيار متأخراً كما قال المرتضى بعد عهد طويل .

ولا يذهبن بنا الظن إلى أن معنى تأخر هاتين النظريتين أنهما لم تخطرا ببال أحد ولم يعرض لهما الـكتاب والسنة والأحاديث مطلقاً ، فقد عرض الـكتاب فى مختلف الموارد إلى القدر والاختيار تصريحاً وتلميحاً وكناية ، وكذلك الحديث ؛ غير أنا لانرى أن ذلك يستلزم أن تصبح علماً مفرداً لدى الناس إذ ليس كل مايعرض له الـكتاب والسنة يتفهم الناس نظرياته العلمية فعلا ، فقد جاء أن الـكتاب يحوى بين دفتيه علوماً لم تـكتشف بعد . ولذلك رأينا الشريف المرتضى قد خطأ القائلين أن القدر أول موضوع فى علم الـكلام فقال : ولم يك ما وقع من الخلاف حينئذ يتجاوز باب نسبة معاصي العباد إلى الله ونفيها عنه . ومن هنا نعرف أن رأى المرتضى لايتفق مع رأي القائلين بأن معبد الجهني وغيلان الدمشقى هما أول القائلين بالقدر وإنما يرى فيهما كما عرفت فى أنهما يقولان بنفي معاصى العباد عن الله وهى النظرية المدلية . وخلاصة رأي المرتضى كما يأتي :

(١) إن أولى النظريات فى علم الـكلام الاسلامى هى نظرية نسبة المعاصى إلى الله

(٢) ثانيتهما النظرية المدلية وهى رأى علماء النفى

(٣) يستنتج أن عام ٦٠ — ٦٩ هو أعلى حد يمكن أن يكون مبتدأ لتاريخ علم الـكلام ؛ وذلك لأنا ضبطنا الأرقام على أساس تاريخ وفاة العلماء أى على أخص المقدمات . ومن هنا يعرف القارئ أن تاريخ علم الـكلام يجوز أن يتقدم على سنة ٦٠ ولا يمكن أن يتأخر عن سنة ٦٩ ، وهكذا الشأن فى جميع أرقام بحثنا التالية فيجوز عليها التقدم ولا يجوز التأخر وسيتجلى رأى المرتضى أكثر فى أجزاء المقدمة التالية قال :

« بيان القدرة والمقدور وما أشبهه . فأما الـكلام فى خلق أفعال العباد فى الاستطاعة وفيما اتصل بذلك وشاكله فانما حدث بعد دهر طويل ، ويقال إن أول من حفظ عنه القول بخلق أفاعيل العباد جهم بن صفوان فإنه زعم أن ما يكون في العبد من كفر وإيمان ومعصية فالله فاعله كما فعل لونه وسمعه وبصره وحيويته وأنه لا فعل للعبد فى شيء من ذلك ولا صنع ، والله تعالى صانعه وإن لله تعالى أن يعذبه فى ذلك على ما يشاء ويثيبه على ما يشاء وحكى عنه علماء التوحيد أنه يقول مع ذلك إن الله خلق في العبد قوة بها كان فعله ، كما خلق غذاء يكون به قوام بدنه ، ولا يجعل العبد كيف يصرف حاله فاعلا لشيء على حقيقة ، فاستبشع من قوله أهل العدل وأنـكروه مع أشياء أخرى حكيت عنه . ولما أحدث جهم القول بخلق أفعال العباد قبل ذلك ضرار بن عمر بعد أن كان يقول بالعدل فانتفت عنه المعتزلة واطرحته ، فخلط عند ذلك تخليطاً كثيراً وقال بمذاهب خالف فيها جميع أهل الحق وخرج عما كان عليه واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بعد ما كان يعتقد فيهما من العلم وصحة الرأى لأنه كان فى الأول على رأيهما وأخذ عنهما »

« لها بقية »

محمد على كمال الدين

(العراق — النجف)

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٢٢ —

الفلسفة الصينية

العصر الأول

عقيدة العامة

لا يستطيع الباحث أن يحصل على نتائج قيمة فى دراسة يدة شعب من الشعوب إلا إذا صعد مع الماضى إلى العناصر ولى لهذه العقيدة بقدر المستطاع . ولا شك أن العقيدة ينية هى إحدى تلك العقائد القديمة التى تتكون من عناصر لفة وأساطير شعبية متباينة . ولهذا وجب علينا قبل أن ندرس حدتين الصينيتين : الدينية والفلسفية أن نلم بمعتقدات العامة عصور ما قبل التاريخ ، حتى إذا ما وصلنا إلى العصور الراقية ، طعنا أن نربط بين الأصل والفرع على نحو يرضى البحث سري .

تتكون عقيدة العامة عند الصينيين من أقدم عصورهم من ة الأرواح الخفية والقوى الغامضة التى كانوا يشاهدون رها دون أن يدركوا كنهها على نحو ما فعلت جميع الشعوب رة . وكانت هذه الأرواح المعبودة مؤلفة من نوعين : أرواح ى : من آباء وأجداد وغيرهم ، وتسمى عندهم بالـ « كُـوِى » واح القوى الطبيعية مثل الشمس والقمر والكواكب وتسمى هم « شين » .

وكانت هذه الأرواح بنوعيها تنقسم من حيث المكان إلى ين : الأرواح العليا أو السماوية ، وهى جميع الكواكب والنجوم ؛ والأرواح الدنيا أو الأرضية ، مثل : الأنهار والبحيرات والمنابع ، والغابات والمروج والأودية والجبال والتلول والربوات . وتندرج فى هذا القسم الأدنى أو الأرضى أرواح الموتى كذلك .

ولقد كان الصينيون ولا يزالون إلى اليوم يؤمنون بأن هناك أرواحاً موكلة بالمطر ، وأخرى بالجفاف ، وثالثة بالانبات ، وغير ذلك ، وأن هناك أرواحاً خاصة لحماية المنازل ورعاية أفراد الأسر .

كان هذان النوعان الـ « كُـوِى — شين » إذن هما اللذين يحكمان الكون ، ويسيران كل حركاته . ولهذا كان من الطبيعى أن تنحصر تفكيرات أفراد الشعب وحكامه ومشاغل قلوبهم فى البحث عن نيات هذه الأرواح ومقاصدها ، وما يرضيها ، وما يغضبها ، لكى يعمل كل فرد من أفراد الأمة حاكما كان أو محكوماً على اجتذاب رضى هذه الأرواح ، وجلب خيرها ودفع شرها . وكانت هناك وسائل كثيرة تستعمل للحصول على هذه الغاية مثل السحر والرقى واستنطاق الوحى على لسان رجال الدين

تمتاز العقيدة الصينية القديمة عن عقائد الشعوب الأخرى بالمغالاة فى تقديس الأجداد إلى حد لم يعرف له نظير عند الأمم البائدة ، ففى الماضى قدموا عبادتها على عبادة أرواح السماء ، وقد حافظوا على هذا التقديم من أي تغير طوال هذه العصور السحيقة ، ولا يزالون إلى هذا العصر يشعرون الباحث فى معتقداتهم بنفس هذا الشعور الذى يذكرنا بطفولة الانسانية ، ولكن لعل هذا النوع من العبادة قد بقى إلى الآن ، لأنه يحمل فى ثناياه مبادئ أخلاقية سامية تدفع الأبناء إلى احترام الآباء فى حياتهم وبعد مماتهم وليس بغريب على الصينيين أن يكون أثبت العقائد عندهم هو ما يمت بصلة إلى الأخلاق كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الماضي

هناك ناحية أخرى قد تميز الشعب الصينى عن غيره ، وهي الإغراق فى تقديس الأرض وعبادتها حتى كانوا يطلقون عليها اسم : « القوة المحسنة التى تنمى البذور لتردها ثماراً مضاعفة » ولا ريب أن السبب فى هذا هو أن الشعب الصينى كان شعباً زراعياً يضع الاستغلال والاستنبات في المنزلة الأولى فى الحياة

عقيدة الخاصة أو عبادة السماء

بقدر ما كان العامة يقدسون الأرض لما تفيضه عليهم من نعمة الخصوبة ووفرة الإنبات ، كان الخاصة يعبدون السماء لما يرونه بعين الفكر كامناً فيها من قوة معنوية لها كل السلطان على الأرض وما فيها ، وهكذا ظهر الفرق منذ أقدم العصور واضحاً بين عقيدة العامة الساذجة التي تأمر بعبادة الأجداد وغيرهم من الموتى ، وعقيدة الخاصة التي تحصر العبادة في السماء أو في « شانج — تى » أي السلطان الأعظم

لم تكن عقيدة الخاصة هذه مستحدثة في العصور المتأخرة ، وإنما هي قديمة جداً ، إذ نراها مسطرة في أقدم فصول كتاب « إى — كينج » . ولقد كانت الرياسة في هذه العبادات الراقية مقصورة على الملك الذي كان يسمى : « تى » أي السلطان وكانوا يلقبونه أيضاً بابن السماء ؛ وقد تطورت هذه الرياسة في العصور المتأخرة فتجاوزت الملك إلى حكام المقاطعات والأقاليم

لم تكن عقيدة الخاصة مجرد عبادات وطقوس دينية فحسب ، وإنما كانت ممتزجة بتفكيرات قيمة حول الكائن من حيث هو كائن وتحليلات لا بأس بها للقوى الطبيعية السماوية والأرضية التي كانوا يشاهدون آثارها ، وكان ذلك مقصوراً على الخاصة ومحرماً على العامة تحريماً قاسيا . ويتضح هذا التحريم من قراءة أقدم فصول « إى — كينج » إذ لا يكاد الباحث يتصفحها حتى يجزم بأنها لم تكتب إلا للحكماء والملوك وخاصة الأمراء وعلماء كبار رجال الدولة

وفي الواقع أن حكماءهم كانوا يقولون : ليس من العقل أن تُسَلَّم إلى الجمهور الأداة التي يسيء استعمالها ، والتي قد تجرحه فترديه قتيلا . وقد ظلت فكرة « المضنون به على غير أهله » قائمة في بلاد الصين حتى هذه العصور الحديثة ، ولهذا قال : « لاأو — تسى » حكيمهم المتنسك في العصور التاريخية : « كما أنه من غير الممكن إبعاد الأسماك عن الماء دون أن تموت ، كذلك من المستحيل أن تكشف أسرار الدولة أمام العامة دون أن تفسد الحال »

من هذا نعرف مقدار حرص الخاصة على عدم تسرب أسرار عقيدتهم إلى العامة . والآن نريد أن نشير إلى شيء من تفاصيل هذه العقيدة ، وعلى أي نحو كانت العقلية الصينية تفهم القوى المتصرفة في الكون وتؤمن بها وتوجه إليها التقديس . وإليك هذه الإشارة :

كان أولئك الخاصة من أقدم العصور يسندون التأثير في جميع الكائنات إلى قوتين عظيمتين : السماء والأرض ؛ ولكنهم كانوا يرون في السماء وحدها السلطان الأعلى « اللامحدود » القوة ، وكانوا يعتقدون أن السماء نفسها كائن حي متحرك بالإرادة ، وبعبارة أدق : أن السماء هي العالم الحي المتحرك حسب نظام دقيق عجيب ، وأنها هي كل الكون ، وأن الأرض وجميع ما عليها من خصوبة وتناسل ومظاهر أخرى ليست إلا رمزاً تمثيلياً من رموز السماء . وقد كانت الأرض هي الرمز النسوي للسماء لما يظهر على سطحها من خصوبة ونباتات ؛ ولكن ليس معنى هذا أن خاصة الصينيين كانوا يعتقدون — كما اعتقد بعض الشعوب الأخرى القديمة — بأن الكائنات تناسلت من زواج السماء مع الأرض ، كلا . وإنما كانوا يعتقدون بالوحدة المطلقة وبأن الأرض ليست إلا مظهراً للسماء بحيث يستحيل تصور فصلها عنها كما تستحيل تثنيتهما في الحقيقة ، لأن كل واحدة منهما هي الأخرى ؛ وهي أصل جميع الكائنات في نفس الوقت . ولئن وجدنا في كتاب « إى — كينج » أن عناصر الوجود الإيجابية مستقرة في السماء وعناصره السلبية موجودة في الأرض مثلا ، وأن الأرض تدعى بالأميرة المخصبة ، فليس معنى هذا هو التثنية الحقيقية ، وإنما هي رموز لا أكثر ولا أقل

وهكذا نتلاقى عند هذه النقطة من الفلسفة الصينية بوحدة الوجود سافرة جلية بعد أن قصرها أولئك المتفيهقون على العقلية الآرية وجزموا بأنها برهان السمو الفكري . وليست هذه الوحدة موجودة في الفلسفة الصينية بهيئة غامضة ، أو قابلة للفرض والتخمين ، كلا ، بل إنهم يصرحون بأن كل كائن من الكائنات الموجودة حية كانت أو جامدة إنما هو نتيجة لإحدى حركات

الوحدة المطلقة ، وأن جميع الحوادث الكونية ليست ناشئة إلا عن تغير المظاهر الطبيعية ، وأن هذه الوحدة هى المنشأ والمرد لجميع الموجودات بغير استثناء . غير أن هذا التأثير لا يتجه من الوحدة إلى الكثرة الناشئة عنها بطريقة مباشرة ، وإنما يتجه إليها بوساطة قوى هي كذلك ناشئة عن تلك الوحدة ، وعلى هذا النحو تحدث الموجودات . فمثلا الرعد يحدث الحركات الأبدية التي تجذب أحد الضروريين إلى الآخر ، والهواء يحدث فرقتهما وكذلك المطر يحدث الخصوبة ، والشمس تحدث الحرارة ، والجبال تحقق السكون ، والماء يحدث السرور ؛ وهكذا تحدث القوة الطبيعية وحدها بعض الحوادث حيناً ، وتتكاتف مع إحدى القوات الأخرى على إحداث البعض حيناً آخر ، وتتضارب مع قوة ثالثة إما للإحداث أو للكف عنه حيناً ثالثا ، وبناء على ذلك كله فليس للعالم عند الصينيين منشئ أجنبي عنه ، وإنما المنشئ هو عين المنشأ ، كما هى الحال عند الهنود وعند الرواقيين مع الاحتفاظ بالفروق الدقيقة المميزة لكل واحدة من هذه الفلسفات

على أن أهم ما يجمل بنا أن نشير إليه فى هذا الموضع هو تصريح الفلسفة الصينية أو عقيدة الخاصة منذ عصور ما قبل التاريخ بأن جميع الكائنات هى نتائج التغير والتحول الدائمين والناشئين من الحركة . تلك النظرية التي طالما تلألأت فى سماء الفكر الإغريقى فى عصر ما قبل « سقراط » وكانت منشأ مجد « هيراكليت » ومبعث تلك المجادلات الفلسفية التى احتدم أوارها بينه وبين « بارمينيد » وتلميذه « زينون الإيليائى » .

وليست هـذه هي النظرية الفلسفية الوحيدة التى سبق الصينيون فيها الإغريق ، بل إنهم قد سبقوا أفلاطون بتلك النظرية التى أسلفناها آنفاً ، وهى تصريحهم بأن السماء كائن حى، متحرك بالإرادة . وإذا أردت التوسع فى إيضاح هذه النظرية فارجع إلى أفلاطون أو إلى كتب ابن سينا وابن رشد فإنك ستجد فيها الفصول الضافية والبحوث المستفيضة .

لا يفوتنا قبل أن نغادر هذا الفصل أن نعلن أن هذا الكون الأوحد عند الصينيين لم يكن مادياً محضاً ، وإنما كان طبيعياً أى مادة مشتملة على روح ، بل إنهم صرحوا بأن الجانب المادى فى الطبيعة لم يحتفظ بنظامه كاملا إلا بفضل الجانب الروحى ، وكذلك ينبغي أن نشير إلى أن الإنسان له عندهم منزلة خاصة ، بل إنهم كانوا يعتبرونه عالماً مستقلا ويضيفون اسمه إلى اسمى السماء والأرض كمظهر قوى من مظاهر الوحدة الكونية أو الكون الأوحد ، لأنه هو المشتمل على الروح من بين جميع الكائنات وفي هذا يقول كتاب « شو ـ كينج » : إن السماء والأرض هما أبوا الكائنات جميعها ، والإنسان من بين جميع الكائنات هو وحده الموهوب روحا » .

ولكن ليس معنى إضافة اسم الإنسان إلى اسمى : السماء والأرض هو تكوين ثالوث كثالوث الهنود أو المسيحيين ، بل إنها وحدة مطلقة كما أسلفنا . وكذلك يجب أن نعلن أن هذه النظريات الراقية لم تكن يوماً ما عامية ثم تهذبت ، وإنما هى وليدة أفكار الخاصة والمهذبين استخلصوها مباشرة من دراسة ما حولهم من الظواهر الطبيعية

« يتبع » محمد غلاب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢١٤ — لقد صغرت عظيماً

سأل رجل خالد بن صفوان فقال: هبْ لي دُنينيراً. فقال خالد: لقد صغّرتَ عظيما (صغرك الله!) الدينارُ عُشر العشرة، والعشرة عشر المئة[1]، والمئة عشر الألف، والألف ديتُك

٢١٥ — ألم العيون للذة الآذان

كان جحظة البرمكي نابئ العينين جداً، قبيح الوجه، وكان طيب الغناء، ممتد النفَس، حسن المسموع، حلو النادرة كثير الحكاية، صالح الشعر فقال فيه ابن الرومي:

نبئتُ جحظة يستعير جحوظه ... من فيل شِطرنج ومن سرطان
وارحمتا لِمنادميه! تحمّلوا ... ألمَ العيون للذّة الآذان

٢١٦ — عتاب بين جحظة والزمان

في (الايجاز والاعجاز) للثعالبي: كان الشبلي يرقص على قول جحظة:

ورقّ الجوُّ حتى قيل: هذا ... عتابٌ بين جحظةَ والزّمان

٢١٧ — نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة

قال يونس بن محمد المقري: أخبرنا عبد الله بن منظور قال: لما سرنا إلى الزيارة، وانتهينا إلى باب الخشبة، وهو الباب الذي يفضي إلى القبر (قبره صلوات الله عليه) نزل رجل عن راحلته وأنشد:

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا[2]

فلما سمعه الناس نزلوا عن رواحلهم ومشوا إلى القبر

(١) في (أدب الكتاب): «ومائة زادوا فيها ألفا ليفصلوا بينها وبين منه فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ» قلت: الحال تقتضي حذفها حتى لا يضل لافظها وكم أضلت هذه الألف فتح الميم قارئ المئة ومد ...

(٢) المتنبي من قصيدة فيها:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد ... إلى أن يرى إحسان هذا لذا ذنبا

وتمثل هذا الرجل بهذا البيت أحسن من مدح أبي الطيب المتنبي من مدحه به، وقاله فيه

٢١٨ — يا كفى الله شر ما هو حاك

أبو عامر بن الفضل التميمي و« هذا كلام عليه أمارة الأمار وله ملاحة البداوة ورشاقة الحضارة[1] »:

واصلتني الهمومُ وصلَ هواكِ ... وجفاني الرقادُ مثلَ جفاك
وحكى لي الرسول أنك غضبى ... يا كفى الله شر ما هو حاكِ!

٢١٩ — ذهب ذلك القليل

في (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء): قال شعيب بن حرب قال لي شعبة[2]: عقولنا قليلة فإذا جلسنا مع من هو أقل عقـ منا ذهب ذلك القليل. وإني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلا منه فأمقته

٢٢٠ — ارجاف العوام مقدمة الكون

كان ابن الزيات يقول: إرجافُ العوامّ مقدّمة الكون نظمه جحظة:

وإرجاف العوامِ مقدّماتٌ ... لأمرٍ كائن لاشكّ فيه[3]

٢٢١ — لا ...

كان ابن الليث قاضي مصر يكتب في فتيا فسمع جارية تقول

ترى في الحكومة ياسيدي ... على من تعشق أن يُقتلا؟[4]

فرمى القلم من يده وهو يقول: لا

٢٢٢ — فكيف حالي لو كنت أعبر تمرة؟

في (نفح الطيب): كان محمد بن أبي بكر القرموطي المر من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعـ والموسيقى[5] والطب، فيلسوفاً ماهراً، آية الله في المعرفة بالأندلـ يُقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون فيها وفي تعلمها.

(١) دمية القصر: والبداوة والحضارة بالفتح والكسر

(٢) من أئمة الحديث. في تاريخ بغداد: قال النضر بن شميل: ما را أرحم بمسكين من شعبة

(٣) العوام في البيت بالتخفيف

(٤) الحكومة: القضاء. في الأساس: وهو يتولى الحكو وفصل الخصومات

(٥) بكسر القاف وقد فتح بعضهم

خلب طاغية الروم على مرهسية عرف له حقه فبنى له مدرسة قرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود . وقال له يوماً وقد أدنى نزلته : لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا ، (١) كنت كذا . فأجابه بما أقنعه ، ولما خرج من عنده قال أصحابه : أنا عمرى كله أعبد إلهاً واحداً ، وقد عجزت عما يجب ، فكيف حالى لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك منى ؟ !

٢٢٣ — وأستشهد بالموتى

فى (كشكول العاملي) : قيل لأعرابي : كيف غلبت الناس؟ فقال : كنت أبهت(٢) بالكذب ، وأستشهد بالموتى . . .

٢٢٤ — أنها لم تجعد عنى

فى (الكشاف) : شهد رجل عند شُريح (القاضى) فقال : ك لسبط (٣) الشهادة !

فقال الرجل : إنها لم تُجعّد عنى (٤)

فقال : لله بلادك ! وقبل شهادته

٢٢٥ — علم الله نيتى من سمائه

فى (أمالى) القالى : كان الجمّاز منقطعاً إلى أبى جزء هلى ، فتنسك أبو جزء وقال للجماز : لا أحب أن تخالطنى إلا تنسك ، فأظهر الجماز النسك وأنشأ يقول :

جفاني الأميرُ حين تقرّى   فتقرّيت مكرهاً لجفائه (٥)
ى انطوى عليه العاصى   علم الله نيّتى من سمائه

٢٢٦ — المصغر لا يصغر

فى (وفيات الأعيان) : اجتمع الكسائى يوماً بمحمد ابن الحسن (الشيبانى صاحب أبى حنيفة) فى مجلس الرشيد فقال الكسائى : من تبحر فى علم يهدى إلى جميع العلوم . فقال له محمد : ما تقول فيمن سها فى سجود السهو ، هل يسجد مرة أخرى ؟ قال الكسائي : لا . قال محمد : لماذا ؟ قال : لأن النحاة تقول : المصغر لا يصغر (١)

فقال محمد : فما تقول فى تعليق الطلاق بالملك ؟ قال : لا يصح قال : لِمَ ؟ قال : لأن السيل لا يسبق المطر .

٢٢٧ — والى العقول

فى كتاب (الزهرة) لعلى بن داود (الظاهرى) : ليتحر الساق العدل فانه والى العقول ، وإلا ناله من خَجْلة(٢) الاستعفاء ما ينال الوالى من خجلة العزل .

٢٢٨ — قل لى متى

أحمد بن فارس :

إذا كان يؤذيك حرُّ المصيف(٣)   وكرب الخريف ، وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع   فأخذُك للعلم قل لي متى ؟

٢٩٩ — الله أعدل

قال المنصور لبعض أهل الشام : ألا تحمدون أن دفع عنكم الطاعون منذ وَلِينا كم ؟

فقال الشامى : إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون . . .

٢٣٠ — أف على النرجس والآس

فى (نزهة الجليس) للعباس بن على المكى : كتب الشاه اسماعيل ملك العجم إلى الملك الأشرف قايتباى — ملك مصر — هذين البيتين :

السيفُ والخنجرُ ريحانُنا   أفّ على النرجس والآس (٤)
شرابنا من دم أعدائنا   وكأسنا جمجمة الراس

(١) كذا : تستعمل مفردة ومكررة معطوفاً عليها وبلا عطف ، بكثير التكرير مع العطف

(٢) بهته : قابله بالكذب

(٣) بسكون الباء وفتحها وكسرها . والسبط فى الأصل : الشعر المسترسل لاجعونة فيه (لاجعودة فى أطرافه)

(٤) الشعر الجعد هو الذى فيه التواء وتقبض خلاف المسترسل . وقد جاء الرجل — كما قال الزمخشرى — على سبيل المقابلة وإطباق الجواب لسؤال وهو فن من كلامهم بديع ، وطراز عجيب منه قول أبي تمام .
من منيء أبناء يعرب كلها   أنى بنيت الجار قبل المنزل

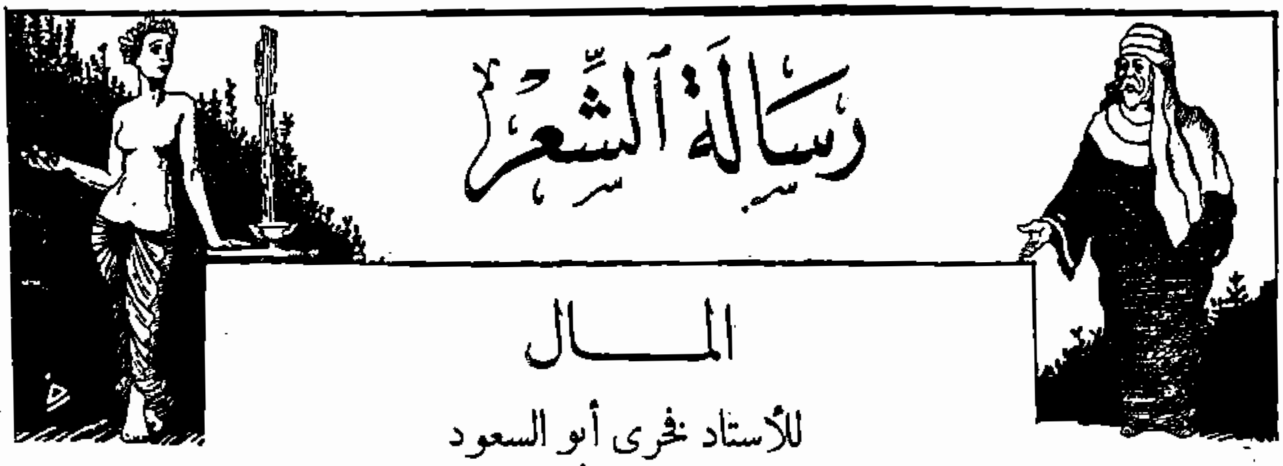
(٥) تقرأ : تنسك وقد سهل . وقد تستبدل الياء بالهمز تخفيفاً كما قالوا . . فكتابتها (والحالة هذه) بالألف المقصورة حسب القاعدة

(١) فى (طبقات الأدباء) إن هذه المسألة جرت بين بشر المريسى والفراء . وفى رواية فى (تاريخ ابن الخطيب) أنها بين محمد بن الحسن والفراء

(٢) فى اللسان : به خجلة أى حياء

(٣) يقع القبض فى عروض المتقارب ويقع الكف فى عروض الهزج ولا يجرك غيرها . وقد قالوا : القبض فى عروض المتقارب أحسن من التمام . ويجوز أيضاً فى هذا البحر اجتماع العروض الصحيحة مع العروض المحذوفة

(٤) النرجس : بفتح النون وبكسرها



المــــال

للأستاذ فخرى أبو السعود

إيّاكَ يبغى رائح أو مغتـد … وإليك يسأُلُ حائد أو مهتد

وعليك أنت تجمّعوا وتفرّقوا … كلٌّ إلى أرَبٍ يروح ومقصد

وعلى هواك تواصلوا وتباغضوا … متزاحمين عليكَ عَذْبَ المورد

متنافسين على جَداكَ ففارق … فيما يُجمّعُهُ وغصّانٌ صَدِ

مَن نال مِن جدواكَ رامَ تزيُّداً … هيهات مهما زِدْتَه لم يَزهد

أحببْ إلى أسماعهم وقلوبهم … بصداك لا بل باسمك المتردد

قطبُ الحياة وملتقى طلابها … طراً وسِلكُ نظامها المتبدد

يُغلِى مكانكَ عالمٌ بصروفها … وبطبعها المتقادم المتجدد

بكَ تُطْلَبُ الدنيا ويُدْرَكُ مابها … مِن متعةٍ لأخى النُّهى المتزيّد

وتَصُونُ ماءَ الوجه يومَ ملمة … وتقومُ دون الحادثات بمرصد

وأراكَ تقتحمُ كل حصن مغلق … أشِبٍ وتفتح كل باب موصد

وأراك عدة كل حر ناهض … يَقْضِى حقوقاً للعلا والسودد

وأراك جيشاً للغنيِّ مؤزَّراً … يمشى بجند حيث سار مؤيّد

وكأنّ هذا الكونَ دولةُ مَن مشى … فى جانبيه بمُطْرَفٍ أو مُتلَدِ

أنا إنْ حوَيْتُ قليلَ فَيْضِكَ خلتنى … مَلِكاً على هـذا السَّواد المُجْهَد

يشقَوْن كى أهنا وأخطر مُكرَماً … فيهم وأُدْعَى بينهم بالسّيد

ويسارعون إلى رضاى مُحكَّماً … فى خير ماصنَعَ الصُّنّاعُ وأجوَد

وتهش لى أنّى ذهبتُ ديارُهم … طرباً ويُبْشِرُ عندمَقْدَمِى النَّدِى

فإذا خلَتْ كفّى فيالى مُجتوى … إن جاء أُنكِرَ أو مضى لم يُفقَد

أنت الصديق الصادق الفرد الذى … يُغنى إذا أُفْتُقِدَ الصديقُ ويَفتدى

نِعْمَ المصاحبُ فى المُقام وحبذا … خِدناً لِذى السَّفَرِ المُغِذِّ المُبْعِد

فتشتُ عن وجه الصديق فلم أجد … فيمن عرفتُ سوى الطَّلوب المجتدى

مَنْ ليس فى يوم الرفيهة مُؤْنِسِي … بحديثه أو فى الكريهة مُسعدى

حتى إذا أقصيتُ كلَّ مُسائلٍ … عنّى وصاحب حاجةٍ متو

ألفيتُنى فرداً لعمرك واحـداً … فنبذتُهم ووفرتُ ماملكتْ يد

فخرى أبو السعود

ريحانتى الأولى أو الحرمان

للأستاذ سيد قطب

ريحانتى الأولى وروح شبابى … أنذا دعوت سمعت رجع جوا

أنا فى الجحيم هنا وأنت بجنة … من روح إعجاب وريق شبا

أنا فى الجحيم وأنت ناعمةُ المنى … خضراء ذات تطلع وطِلا

أنا لا أريدك ها هنا فى عالمى … إنى أعيذكِ من لظًى وعذ

لكنها الذكرى تثور بخاطرى … مجنونةً حمقاء ذاتَ غِلا

* * *

عينى رعتكِ وأنت نابتةٌ فلم … تذبل ولم تفتر ولم تذ

وتعهدتك يدى وأنت نحيلة … وغذاك من نفسى الحنانُ ومن

فنموتِ والآمالُ حولك تنتشى … وتهيم راقصةً وتهتف

حتى إذا أينعتِ وانطلق الشذى ألقيتُ نفسى فى صميم جهنم
ملقًى هنالك لا أحس ولا أرى إلا الشواظَ وكلَّ داجٍ معتم

* * *

بيني وبينكِ شُقة لا تنتهى أبداً أُقارب حولها وأُباعد
هى شقة النفسِ الخرابِ، وإنها لمجاهل لم تُكتشف وفدافد
الشمس فيها لا تطلُّ وما بها إلا الرواكدُ والظلام البارد
أنا لستُ سالكها وأنتِ حفيةٌ أن تجتبي عنها ونجمك صاعد
فإذا الذى بيني وبينك كلُّه ذكرى تطل برأسها وتعاود

* * *

وأراكِ من خلل الغيوم أسيفةً إذ تذكرين رعايتى وجهودى
وترين حاضرنا وغابرنا معاً وتراجعين مواثقى وعهودى
نفسى فداك فلا أراك شجية ترقى الغصونُ لوجهك المعبود
وقف عليك تطلعى وتلهفى وقف عليك قصائدى ونشيدى
لكن أعيذك خطرة فى عالمى إنى أعيذك وحشتى وركودى

أيها البحر (1)

للآنسة نفيسه السيد

سرح الطرفَ فى الجلالِ وهاتِ نفحاتٍ منْ آيهِ البيِّناتِ
املأ النفسَ منْ معانيهِ سحْراً مُستفيضاً فى أروع الآياتِ
موطني بورِكَ المقامُ حواليـ ـك كريمَ الغدَوات والروحاتِ
حيث نشأت فى ظلالكَ أرعى شاطئَ اليمِّ فى مراح الحياةِ
ملاذُ النفوسِ أنتَ إذا ما أثقلتْها الأيامُ بالحادثاتِ
تولّي إليكَ منطلقاتٍ منْ قيودِ الهمومِ والحسراتِ
نائياتٍ عنْ عالمِ الأرضِ تحيي فتراتٍ منَ المنى صافياتِ

* * *

كلٌّ أقبلتْ عليكَ ودالتْ منْ قديمٍ وأنت فى الراسياتِ
شبهٌ للزمانِ تأخذُ عنهُ سرَّهُ من تقلُّبٍ وثباتِ
حديثُ الأيامِ فيكَ معادٌ فى قديمٍ من العصورِ وآتِ

(اسكندرية) نفيسه السيد

(١) من القصائد التى ألقيت فى حفلة «أدب البحر» التى أقيمت بالاسكندرية

من وحي جنائن دمشق

تعـــــالي

للسيد جورج سلستى

تعالَيْ لنسهرَ حتى السحَرْ فللمغرمين يلذُّ السهَرْ،
فهذا الغدير، وهذى الرياض التى تعشقين، وهذا الزَّهَرْ
أطلَّ عليها جميعاً، كوجهكِ غبَّ الشجونِ، أخوكِ القمَرْ
يوشِّحُها من سناءِ ضياهْ ووهج أشعَّتهِ بالبِدَر!
تعالَيْ فقد رقدَ المرجفون، وغطَّ الوشاةُ، ونامَ القدَر!
سجا الليلُ إلاَّ هبوبَ النسيمِ العليلِ، وإلاَّ حفيفَ الشجر
وأبلسَ إلاَّ خريرَ الغديرِ وجرجرةَ الماء فى المنحدر
تعالَيْ أُساقطُ منكِ الكلامَ، فإنَّ كلامَ الحسانِ دُرَرْ
وتحت ستارِ الدُّجى يُستطابُ حديثُ القلوبِ ويحلو السمَرْ
تعالَيْ فكلِّي جوارحُ تهفو لمرأى المحيَّا الوسيم الأغرْ
تعالَيْ فشوقي إليكِ تلظَّى وإنَّ حنيني إليكِ استعَرْ
تعالَيْ أبثك نجوى الفؤادِ وأشكو إليكِ صُروفَ الغِيَرْ
وما فعلتْ بيَ أيدي البعادِ وما خلَّفتْ من بليغ الأثرَ!

* * *

هنا مجتلى عبقريُّ الرواءِ، وضيءُ المحاسنِ، فذُّ الصور
زها بغلائلهِ الفاتناتِ وماجَ بوشْيِ الربيع النضَر
كأنَّ جنانَ الخلودِ عليه تجلَّيْنَ بالرَّوْنَقِ المبتكَر!
مراهُ تشعُّ بسحرِ الجمال فتسبي العقولَ، وتسبى النظَر
هنا الروضُ يطفحُ بالنُّعمياتِ فيشأو جميعَ الرياضِ الأُخَر
هنا متعةُ النفسِ يا منيتى وراحُ النهى ومراحُ الفِكَر
هنا جنةُ اللهِ فى أرضه إذا كانَ من جنةٍ للبشَر
تعالَيْ فإنَّ لقاءكِ فيها لسرُّ الحياة ونعمى العُمُر

* * *

تعالَيْ نذوب غراماً فنبقى حديثَ الدهورِ ونجوى العُصُر

جورج سلستى



مملكة النحـــل

عيشة النحل وتربيته الحديثة

بقلم جمال الكرداني

تتمـــة ما نشر في العدد المـاضي

ومن العوامل التي تسبب خراب الخلية وتؤدي إلى دمارها ظاهرة تسمى بالتطريد ، والتطريد هو هجر الملكة الخلية مع بعض الحاشية لتكوين مستعمرة أخرى ، وذلك لضيق الخلية أو وجود منازع لها في الملك . ويحدث التطريد في الربيع أي في أوائل ابريل حيث تكون الخلايا قوية وآهلة فتحس الملكة بضيق المكان فتضطر للمهاجرة . وعند ما ترى الملكة تخاريب (عيون) ملكية تنبه إلى أنه سيخرج منها يوماً ما ملكات تنازعها الملك فتعمد للسعها داخل عيونها ويمنعها من ذلك الشغالة حديثة السن فيعز على الملكة ذلك وتؤثر الرحيل

عند ذلك ترسل الملكة بضع نحلات هي الكشافة للبحث عن محل لائق للهجرة ، وهو عادة الأشجار والجدران العالية ؛ ثم يخرج النحل الكبير في السن ويتجمع بالقرب من باب الخلية ويتماسك بواسطة الأرجل حتى تتكون كتلة تسمى بالطرد

وعند تمام اجتماع الطرد تخرج الملكة وتركب وسط هذا التل ثم يطير الطرد قاصداً المكان الذي تهديه إليه الكشافة

ويسبق هذه الهجرة ظواهر يمكن النحال ملاحظتها ، وهي انقطاع الملكة عن العمل وربما كان ذلك لانشغالها بفكرة الرحيل ، ويلاحظ كذلك تجمهر النحل على أبواب الخلية . كذلك يوجد غالباً دوي غير عادي داخل الخلية . وفي استطاعة النحال منع التطريد إذا فطن له فيعمل على توسيع المكان بوضع براويز جديدة كما لزم ذلك مع ملاحظة مسألة التهوية . ويجب أخذ البراويز التي بها بيوت ملكات أو قطع البيوت منها أولاً بأول حتى لا تفقس . وإذا كانت مهارة النحال فائقة فيمكنه عزل الملكة القديمة (الأصلية) في برواز سلكي يوضع في الخلية فيرى النحل ملكته ولكن لا يرى لها بيضاً على الأقراص فتذهب نزعته للتطريد . وإذا رأى النحال أن الملكة لا تستحق مثل هذا الحفظ يخرجها من الخلية ويميتها ويدخل ملكة جديدة ، فيظن النحل أن التطريد قد تم ، وأن هذه الملكة زعيمته الجديدة ؛ ويمكن منع التطريد بتاتاً بقص أجنحة الملكة من جانب واحد

النحل والعسل

عرف النحل من قديم الزمن ، وكانت الجماعات منه تسكن شقوق الصخور والتجاويف التي توجد في سوق الأشجار وعند تحقيق فائدته استأنسه الانسان ، ونقله قدماء المصريين إلى جانب بيوتهم ، وكونوا له بيوتاً أرقى من الأولى ، وهذه ما زالت ترتقي حتى كونت الحديثة

وتنجح تربية النحل في الحدائق والمزارع حيث تحاط الخلا بأشجار تظللها ، ويحسن أن تكون قصيرة متساقطة الأوراق مثل التفاح والخوخ والبرقوق ، لأن الأشجار العالية تساعد على التطري كما أن الدائمة الخضرة تمنع أشعة الشمس . ويستحسن تظليل الجهة الشرقية والجهة الجنوبيـة قليلاً لتسمح لأشعة الشمس بالوصول إلى الخلايا إذ أنها من العوامل المنشطة للنحل ؛ ويقام عاد سياج في الجهتين الشمالية والغربية لمنع الأهوية الباردة عن الخلا

وخلايا المناحل المصرية نوعان بلدية وأفرنكية ؛ أما البلد فعبارة عن اسطوانة من نوع طين القلل طولها ١٢٠ سم وقطره ١٥ سم تسد بقرصين أحدهما به ثقب وتلتصق بالجدران الداخلي إلا من أسفل أقراص الشمع ويبلغ عددها من ٣٠ إلى ٢٥ قرص

أما الأفرنكية فعبارة عن صندوق خشبي يتصل بقاعدته ربع قوائم قصيرة وغطاؤه محكم القفل سهل الفتح ، ويرتكز لى حافتي جانبين متقابلين من هذا الصندوق عشرة براويز مساحة لسطح المحصور بين دائر كل برواز ٣٥٫٥ × ٢١٫٥ سم٢ وعرض افته العليا ٢٫٥ سم وبين كل برواز والذي يليه مسافة قدرها ١٫ سم . كما أن مستوى القاعدة ممتد من أحد جوانب الصندوق ى الخارج مسافة ١٢ سم لوقوف النحل قبل دخوله الخلية طيرانه منها ؛ ويخرج النحل من الخلية ويدخلها عن طريق فتحة رضية في قاعدة وجه الصندوق من جهة الامتداد .

وأهم جزء من أجزاء الخلية سواء كانت بلدية أو أفرنكية والقرص الشمعي ، ويقوم النحل في الخلايا البلدية ببنائه كله ؛ أما في لخلايا الأفرنكية فيثبت أساس شمعي على كل برواز ويكون عمل حل هنا قاصراً على تعلية أضلاع الأشكال المسدسة المنقوشة هذا الأساس الشمعي ، وهذا الأساس يقلل من تعب النحل بنائه من جهة ويجعله يبذل هذا المجهود في عمل عسل من جهة رى . وقد وجد أن المجهود اللازم لعمل أربعة أرطال من العسل ل في صنع رطل واحد من الشمع . وهذا الشمع يتكون دخول العصير الذي تمتصه النحلة من الأزهار في غدد لها ل الجسم فيستحيل إلى شمع فاذا ملئت هذه الغدد فاض منها مع على شكل قشور تزيلها النحلة برجليها الخلفيتين ، وباستعمال ورجليها الأماميتين يمكنها بناء الأقراص أو تعلية الأساسات

ولون القرص الشمعي أبيض في الابتداء ويحفظ لونه إذا عمل في تخزين العسل ، أما إذا استعمل للإفراخ فان لونه يسمر . ن الاحتفاظ بالقرص صالحاً للاستعمال مدة خمس سنوات اعتنى به ولم يكسر عند استخراج العسل .

وعند تمام بناء القرص تقوم الشغالة بجمع العسل وتخزينه يقة ذلك أن تمتص النحلة رحيق الأزهار وترسله إلى سلة خاصة موجودة بالجزء الأمامي من البطن حيث تحصل فيه ت كيميائية وغيرها ويكتسب الطعم الخاص به ، وبعد وضع ل في العيون يتبخر ماؤه قليلا ثم تغطيه الخثات بغطاء من ع . ويخزن العسل في الجزء العلوي والجانبي من القرص ، لجزء الأوسط منه فتشغله الأفراخ .

ويقطف العسل مرة في السنة عادة في أغسطس أو سبتمبر ، ولكن إذا كانت الخلايا قوية والنحل مجدا يقطف العسل مرتين في أغسطس واكتوبر . ويلاحظ عند قطف العسل ترك ربع المقدار في الخلية ليكون غذاء للنحل في الشتاء . وفي الطريقة البلدية توضع الأقراص فوق بعضها في إناء من الفخار مثقوب من أسفل ، فتراكم الأقراص يسبب سيل العسل وخروجه من الثقب إلى إلى إناء معد لذلك . وهذه الطريقة طبعاً غير مرضية لما يشوبها من الأوساخ وغيرها وخصوصاً إذا استعملت الأيدي لتكملة العصر

أما في الطريقة الحديثة فنحصل على العسل بوضع البراويز المحتوية عليه في جهاز يسمى الفراز يديرها دورات سريعة ، وبنظرية الطرد المركزي ينفصل العسل من البرواز ويسقط في اسطوانة محيطة بالجهاز ، وعند ضمان نظافة الجهاز يكون العسل نقياً رائقاً حلواً شهياً .

وكلنا طبعاً لا نجهل لذة طعم العسل وحلو مذاقه وخصوصاً وقت طفولتنا كما أننا لا ننسى أنه يدخل في معظم الفطائر والمربات فيزيد طعمها حسناً .

ويستعمله الغربيون بدل السكر فيضعونه في أقداح الشاي وما شاكل ذلك . وكثيراً ما يدخل في العقاقير الطبية لتزيل شيئاً من مرارتها ويكسبها طعما مقبولا . والعقاقير التي يلزم الانسان منها مقادير صغيرة جداً ولا يتسنى للفرد أخذها بمقاديرها الحقيقية وهي على حالتها الراهنة ، تمزج بالعسل بحساب معلوم ويتعاطى الانسان منها مقادير تحتوي على هذه الكميات الضئيلة من العقاقير وقد قال الله تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »

جمال الكرداني
بكلية الزراعة

* * *

تعليق

ورد في مقال (مملكة النحل) المنشور في العدد الماضي من الرسالة أن يرقات ذكور النحل تتغذى بخبز النحل مع جزء من الغذاء الملكي (اللبن) بعد ثلاثة الأيام الأولى ، والحقيقة أن يرقات الذكور والشغالة بعد تغذيتها في الثلاثة الأيام الأولى بالغذاء اللبني تتغذى بغذاء نصف مهضوم من العسل وحب اللقاح (أنظر مملكة النحل العدد الرابع من المجلد الثامن — ابريل سنة ١٩٣٧)

يوسف أحمد موسى
معاون أعمال فرع النحل بوزارة الزراعة



من قصص التاريخ

جاســـبار هوزيه

١٨١٢ – ١٨٣٣

للأستاذ عبد اللطيف النشار

إن كان البؤس مؤهلاً لبقاء الذكرى فليس أحد أحق بأن يعيش فى ذاكرة الناس من جاسبار هوزيه .

أربى عمره على العشرين ولكنه لم يعش فى الواقع إلا أربعة أعوام ، وذلك لأن بقية عمره يجب أن تحذف من حساب الأعمار . عاش ما بين العام الذي ولد فيه وبين اليوم الذى بلغ فيه من العمر ثمانية عشر عاماً ، وهو يجهل تمام الجهل ما يعلمه الأطفال دون عمد — ما يعلمونه بالغريزة وحدها . كان يجهل مثلا أن فى الدنيا مزارع وأن فى هذه المزارع طيوراً وزهوراً ؛ وكان يجهل أن فى الدنيا رجالا وأن هؤلاء الرجال يمشون ويضحكون ويبكون ؛ وكان يجهل أن فوقنا سماء وأن فى السماء كواكب وأن أحد هذه الكواكب يضىء فى النهار وبقيتها تنير فى الليل .

هكذا عاش ثمانية عشر عاماً وهو لا يعرف شيئاً عن الدنيا ولا عن الناس ولا عن الأفراح ولا الأحزان .

وفى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٢٨ وجد جاسبار هوزيه عند باب مدينة نورمبورج فى باڤاريا وكان هذا أول عهد الناس به وعهده بالناس .

ولما ترك هذا الباب حاول المشي ولكن قدميه خانتاه لأنه لم يعتد المشى فوقع . وهو الآن يمشى لأول مرة فى الطريق ويهمهم بأصوات غير مفهومة لأنه لا يعرف الكلام . ولو كان يعرفه لخاطب الناس بمثل هذا القول :

« فى هذا اليوم أترك للمرة الأولى سجناً مظلماً وضعت فيه منذ مولدى ولم أنتقل منه ، ولم أعرف غيره . ولست بالأعمى ولكن لأول مرة ترى عيناى اليوم ضوء الشمس ، ولست بالأصم ولكنى إلى ما قبل لحظات لم أكن أعرف ما الأصوات ؛ وهكذا أنا بينكم لا أستطيع المشى ولا السماع ولا النظر . إننى رجل ولكنى أقل بينكم من الأطفال .

وكانت قوانين هذه المدينة شديدة على المتشردين ، فلما رأى الجنود جاسبار مرتمياً على الأرض قادوه إلى قسم البوليس ، ولكن كان عبثاً ما حاوله المحققون من الحصول على إجابة منه

وخطر ببال واحد منهم أن أمامه دواة وقلماً وورقة ، فلما رأى جاسبار هذه الأشياء تناول القلم وكتب اسمه فاستدل المحققون بذلك على أنه يدعى الخرس والصمم ، وعلى أنه متشرد فأرسلوه إلى السجن

وكان من بين الذين حضروا التحقيق معه طبيب اسمه الدكتور « دومر » وقد استرعت هذه الحالة اهتمامه فصار يعوده في السجن ويترقب تصرفاته

ولما جيء إليه فى السجن بقطعة من اللحم وبقدح من الج ارتاع ورمى بالقدح ، وجيء له بقطعة من الخبز وبقدح من الم فتهلل وجهه وتغدى منشرحاً ثم نام

وفى خلال الأيام الأولى زار السجن عدد كبير من النا ليروا هذا المجهول . وكان بعضهم يحمل إليه الكعك ، والبع يحمل إليه اللعب

وكان الفريق الأخير حكيما لأن المعاملة المعقولة مع مثل هـ المخلوق هى معاملة الأطفال . لكن جاسبار كان يرفض كل ما يقد إليه إلا جواداً خشبياً حين رآه تهلل وأبدى رغبة دالة على نف الصبر فى الحصول عليه . فأدركت النظارة من ذلك أنه كان ي مرة مثل هذا الجواد الخشبى ، وأنه كان فى يأس من استرجاع

وعلى التدريج استطاع جاسبار رؤية النور وسماع الأصوات ، وكان من قبل يبكي عندما يسمع دقات الساعة من الكنيسة المجاورة وينزعج عند ما تمر بالقرب من السجن فرقة موسيقية . وقد أغمي عليه في أول مرة سمع فيها الألحان

وكان الدكتور « دومر » يراقب في اهتمام شديد كل هذه التطورات ، فلما اقتنع بامكان تعليمه طلب إلى ولاة الأمور تسليمه إليه . وبدأ يعلمه ووجد تقدمه مستمراً . وبعد مدة كتب جاسبار تاريخ نفسه في المجالة الآتية :

« كنت لا أعرف كم عمري لأني لم أكن أشعر بوجود الأيام والليالي ولا بمدلول العمر ، ولكني كنت أشعر بوجودي في الغرفة المظلمة التي لم أعرف غيرها . وكان رجل يزورني كل يوم ويأتي بالطعام ، وكنت أشعر بأني غير وحيد في هذه الدنيا . وقد وضع الرجل أمامي شيئاً لم أكن أعرف ما هو لكن شكله كان يسرني ، هو جواد خشبي ، وكنت أرى ذلك الرجل يمشي فأحاول المشي مثله ولكني كثيراً ما كنت أقع أو يصطدم رأسي بالحائط . وأفهم الآن — ولكني لم أكن أفهم من قبل — أن ثيابي كانت بين حين وآخر تتبدل بثياب أنظف وأن شعري كان يقص . وأحسب أن ذلك الرجل كان يضع في طعامي مخدراً ليتمكن من إحداث هذا التغيير دون أن أشعر

وفي يوم من الأيام جاء بدواة وقلم وورقة وأمسك بيدي يعودني كتابة اسمي ولم أكن أعرف معنى لهذه الحركة ولا للاسم الذي أكتبه . ولكن سهل عليّ ذلك بحكم الاعتياد . وأظن تعلمي كتابة اسمي قد استغرق نحو عام من العمر . وأحسب أن هذا الاسم ليس هو اسمي الحقيقي ولكنه الاسم الذي أرادوا أن يلصقوه عليّ . على أنني غير راضٍ عنه وأريد إن مت أن يكتب على قبري : « المجهول »

ولست أشك في أن أبي أراد إنكاري ولم يرد قتلي وهذا هو الذي يجعلني أعتقد أن اسم جاسبار هو زيه ليس اسمي . ويظهر أني أصبحت عبئاً ثقيلا عليهم بعد إذ بلغت هـذا العمر فأرادوا التخلص مني . في أحد الأيام دخل الرجل الذي اعتاد أن يحمل الطعام والشراب ولكنه لم يقدم لي طعاماً ولا شراباً فاستغربت وزاد استغرابي لما وضع عصابة على عينيّ وحملني فلم أسائل نفسي عما يراد أن يصنعوه بي

وهنا تخونني ذاكرتي ولكن أحسب أن وجودي في الطريق لأول مرة صدم أعصابي وأظن أنهم أزالوا العصابة عند باب « نورمبورج »

وأقام جاسبار عند الدكتور درمر وصار يرافقه في الأسواق ويظهر بين الناس . وفي أحد الأيام أصيب جاسبار وهو يدخل باب المنزل بطعنة من خنجر قذف به فجرح في جبينه ولكن الجرح كان خفيفاً . ولم يتمكن أحد من معرفة الذي شرع في قتله لكن هذا الشروع كان كافياً للدلالة على أن حياة جاسبار لم تكن في مأمن بتلك المدينة .

وطلب اللورد ستانهوب وهو من أغنياء الانكليز إلى الدكتور دومر أن يترك له جاسبار فتركه له . وأرسل جاسبار إلى مدرسة في انكلترا . وكان يقيم بها في منزل الدكتور منهرمان .

وفي يوم ما كان جاسبار يسير بالقرب من متحف أوزن فأصيب بطعنة وهرب الذي طعنه .

وعلى الرغم من أن الطعنة كانت مميتة فقد تمكن جاسبار من العودة إلى منزل الدكتور منهرمان . وكان كل ما استطاع أن يفوه به قبل موته أنه ولد في ٣٠ ابريل سنة ١٨١٢ في بافاريا .

وأعلن اللورد ستانهوب أنه يكافئ من يرشد عن قاتله بخمسة آلاف فلورين ، ولكن البحوث الرسمية وغير الرسمية ذهبت كلها سدى . ومات جاسبار في ١٧ ديسمبر سنة ١٨٣٣ .

عبد اللطيف النشار



تشجيع جلالة الملك للكتاب والمؤلفين

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأمر بمنح الأستاذ محمد بدران ناظر مدرسة بنبا قادن الابتدائية والعضو فى لجنة التأليف والترجمة والنشر خمسين جنيهاً تشجيعاً له على ما بذله من جهد فى ترجمة كتاب « ابراهيم باشا » فقابل الأستاذ بدران هذا العطف الملكي الكريم بالشكر والضراعة إلى الله أن يحفظ لمصر فاروقها

مدالية ذهبية اسلامية الى فضيلة الأستاذ شيخ الجامع الأزهر

تلقت مشيخة الأزهر فى الأيام الأخيرة كتاباً من وزارة الخارجية ، جاء فيه ان جمعية « اسلام سيفا سماج » — وهى جمعية إسلامية كبرى فى بومباى — قد قررت منح حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر « المدالية الذهبية الاسلامية » التى أنشأتها هذه الجمعية وجعلتها وقفاً على كبار المسلمين الذين يؤدون أعمالا ذات أثر ملموس فى تاريخ النهضات الاسلامية الحديثة

وقد أرسلت الجمعية هذه المدالية الذهبية منذ أيام إلى فضيلة الأستاذ الأكبر مشفوعة بصورة من قرار مجلس ادارتها

متى يعلن الأدب المصرى عن نفسه

ظهرت أخيراً ترجمة ألمانية لرواية تركية من قلم الكاتب التركى قربان سعيد عنوانها « على ونينو » فأثار ظهورها اهتماماً فى دوائر النقد الأدبى ، وظهرت عنها فى الصحف الألمانية عدة مقالات نقدية ، ووصفها أحد النقدة المعروفين فى إحدى الصحف النمسوية الكبرى بأنها رحلة بديعة فى القوقاز وبلاد الكرج وفارس ، وفى تلك المناطق التى لا يؤمها الأوربى كثيراً والتى تختلط فيها المذاهب واللغات المختلفة فى صعيد واحد . وليست هذه أول مرة يترجم فيها الأدب التركي الحديث الى اللغات الأوربية ، ولكن المهم هو أن كاتباً تركياً يستطيع بانتاجه الأدبي أن يتقرب إلى الذوق الغربى ، وأن يثير اهتمام الدوائر النقدية الأوربية . ولا ريب أن الحركة الفكرية فى تركيا الحديثة لم تبلغ مابلغته الحركة الفكرية فى مصر من القوة والتقدم ، ولكنها تمتاز بخاصة لم يبلغها الأدب المصرى بعد ، وهي أنها استطاعت فى بعض النواحى أن تجاري الحركات الأدبية الأوربية وأن تعرف عن نفسها ، وأن تلفت أنظار النقد الأوربى ، وأن تنال استحسانه فى بعض الأحيان . أما فى مصر فمن بواعث الأسف أننا لم نوفق فى هذه الناحية بعد ، ولا تزال الأمم الأوربية تجهل كل شيء عن أدبنا وتفكيرنا . نعم ترجمت فى الأعوام الأخيرة بعض القصص المصرية إلى بعض اللغات الأوربية ، ، ولكنها لم تثر اهتماماً نقدياً كافياً ، وكان نقلها إلى الأدب الأوربى نتيجة اتصالات شخصية ، ولم يكن مترتباً على مزاياها الأدبية الخاصة . وما دام الانتاج القصصى فى مصر يعتمد على النقل والاقتباس ، ولا يتحرى الطرافة ودراسة الحياة والظروف القومية فانه سيبقى حيث هو مجهولا من الأدب الأوربي

أما قصة « على ونينو » هذه التى أثارت استحسان النقد الأوربى ، فهى قصة غرامية شائقة وقعت حوادثها فى مدينة باكو حيث كان « على » يدرس فى جامعتها ، وحيث عرف « نينو » أجمل فتاة فى العالم ، وهي تقدم لنا صوراً حسنة عن الحياة الشرقية فى القوقاز وبلاد الكرج وفارس ، وعن العواطف والمشاعر والأخلاق فى هذه الأنحاء

الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى عصبة الأمم

هبطت على (الأهرام) برقية من جنيف فى اليوم السادس عشر من هذا الشهر تقول :

« ظهر على الشمسى باشا مندوب مصر فى عصبة الأمم للمرة الأولى فى اللجنة السادسة التابعة لهذه العصبة فأحرز فيها نجاحاً جديراً بأن تفاخر مصر به وبأن تشكره عليه جميع البلاد التى تتكلم باللغة العربية

فمن المعلوم أن جميع البيانات والمنشورات التى تتعلق بالتعاون الفكرى كانت تصدر حتى الآن باللغتين الفرنسوية والانجليزية . ولكن على الشمسى باشا أظهر ما لمصر من المكانة منذ افتتاح جلسة اللجنة بتدخله فى المباحثة تدخلاً باهراً أثبت على أثره الفائدة العظيمة والحاجة الماسة إلى الاعتراف للغة العربية بمثل الحقوق التى تتمتع بها اللغتان الفرنسوية والانجليزية »

وقد أوضح هذه النظرية ببلاغة نادرة ، وأيدها بحجج دامغة اتفق عليها جميع المندوبين وهم من أعظم المفكرين فى جميع البلدان

وهكذا قبل اقتراح على الشمسى باشا ووافقت اللجنة باجماع الآراء على استعمال اللغة العربية فدخلت هذه اللغة دخولاً باهراً فى الميدان الدولي وأصبح من الواجب الاعتراف بعلى الشمسى باشا أنه أدى لمصر وجميع البلاد العربية أعظم الخدم وأجلها

معرض باريس

هل كان معرض باريس الدولى دعاية حسنة لفرنسا ، وهل حقق ما كان معقوداً عليه من الآمال ؟ هذا ما تتساءل عنه معظم الصحف الفرنسية ؛ وترى صحف اليسار الاشتراكية أن المعرض كان نجاحاً عظيما لحكومة الجبهة الشعبية التى افتتح فى ظلها ، التى أشرفت على مراحله الأخيرة ، ولكن صحف الكتلة الوطنية ترى أن معرض باريس كان كارثة على سمعة فرنسا ، وأنه كان فشلاً ذريعاً للحكم الاشتراكى ؛ وتقول فى التدليل على ذلك إن المعرض قد فتح بصفة رسمية منذ ٢٥ مايو الماضى ، ولكنه فتح قبل أن تتم معظم أقسامه ، ولا تزال إلى اليوم بعد أشهر من افتتاحه أقسام لم يتم إعدادها . ولم يجذب معرض باريس إليه إلى اليوم ما كان منتظراً من الزائرين ، ولم تقم حكومة الجبهة الشعبية بدعاية قوية فى هذا السبيل ، ولم تقدم من التسهيلات ما يغرى بزيارته . وقد شعرت الحكومة بفشلها ففكرت أن تمد أجل المعرض عاماً آخر ابتداء من نوفمبر القادم وهو الموعد الذي حدد لإغلاقه ؛ ولكن تقوم دون ذلك صعاب كثيرة يجب تذليلها ، ذلك لأن كثيراً من الأمم الكبري المشتركة فى المعرض مثل ألمانيا وانكلترا تعارض فى مد الأجل لأنها تحتاج إلى معروضاتها لتعرض فى جهات أخرى ، ولأنها لا تستطيع أن تستمر فى الاشراف على أقسامها فى معرض باريس إلى أجل غير مسمى ، والحكومة الفرنسية تسعى إلى مد الأجل لكى تستطيع تحصيل نفقات المعرض وهى تقدر بمليارات الفرنكات ؛ وتقدر إدارة المعرض أنه يجب لتحصيل هذه النفقات أن يزور المعرض على الأقل عشرون مليونا من الزائرين ، وهو عدد لم يتحقق إلى اليوم سدسه ولا خمسه . وعلى أى حال فان مصير المعرض لن يتطور قبل نوفمبر القادم وهو موعد إغلاقه الأصلى

ضوء جديد على اللغز الروسى

ما زالت روسيا لغزاً مغلقاً على المؤرخ والسياسى ، يصعب النفاذ إلى روحها وعقليتها ؛ فهى تخرج من ثورة إلى ثورة ، وتتحرر من طغيان القيصرية لتقع بين براثن طغيان أشد وأروع هو طغيان البلشفية . وقد ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب قيم يلقى كثيراً من الضياء على اللغز الروسى ، ويشرح لنا تكوين روسيا السياسي فى مراحله المختلفة ؛ وعنوانه : « تاريخ روسيا السياسى والدبلوماسي Political and Diplomatic History of Russia بقلم الأستاذ المؤرخ فرنادسكي Vernadskey ؛ ويقول الأستاذ فرنادسكى إن نظام الطغيان هو نوع الحكم الوحيد الذى يصلح لروسيا ، وإن روسيا عاشت مدى الأربعمائة عام الماضية تحت نير الطغيان ؛ ويستعرض العوامل الجغرافية والتاريخية التى تؤيد هذه النظرية ؛ فروسيا أعظم أمم الأرض من حيث المساحة ، وكما أن حرمان ألمانيا من الحدود الطبيعية جعلها دائماً دولة عسكرية من الطراز الأول ، فكذلك حاجة روسيا إلى الدفاع عن أقاليمها

الشاسعة يجعلها دائماً في حاجة إلى اليد والنظم الحديدية . ولروسيا مهمة جعلتها قبلتها دائماً هي حماية الشعوب السلافية ؛ وروسيا السوفيتية تسير على هذه السياسة لأن ظروفها وعواملها لم تتغير .

ويقول لنا الأستاذ فرنادسكي أيضاً إنه يستحيل علينا أن نفهم روسيا المعاصرة إلا إذا وقفنا على العناصر التي تتكون منها . وكتاب الأستاذ فرنادسكي الجديد هو في الواقع ملحق لكتابه القيم عن تاريخ روسيا « History of Russia » الذي ظهر في سنة ١٩٢٩ ، وأثار إعجاب الدوائر الأوربية والتاريخية بدقة عرضه وقوة تصويره ورزانة استنتاجه ؛ وقد وصفته الدوائر النقدية يومئذ بأنه أعظم كتاب ظهر عن روسيا في عصرنا . وقد استقبل كتاب الأستاذ فرنادسكي الجديد بمثل ما استقبل به كتابه الأول من الاعجاب والتقدير ؛ ويعتبر فرنادسكي أعظم أستاذ في عصرنا للتاريخ الروسي .

جائزة جيته

كانت لجنة نوبل بجامعة استوكهلم قد منحت في أوائل هذا العام جائزة نوبل للسلم للكاتب الألماني فون أوسيتسكي ، وكان لذلك وقع سيئ لدى حكومة ألمانيا النازية ، لأن فون أوسيتسكي كاتب ديموقراطي يدعو إلى السلام ومقاطعة الحرب ، وهذا مالا يروق لزعماء ألمانيا الحاضرة ؛ وكان أوسيتسكي معتقلاً في أحد المستشفيات حينما أسند إليه هذا الشرف الدولي العظيم ؛ وقد احتجت الحكومة الألمانية يومئذ على ما اعتبرته تحدياً لها ، وقرر الهر هتلر أن يحرم على الكتاب الألمان قبول جوائز نوبل ، وأمر بانشاء جائزة أدبية كبرى تسمى بجائزة « جيته » وتخصص لأعظم كاتب ألماني يخدم بقلمه ودعوته الحركة الاشتراكية الوطنية الألمانية . وفي الأنباء الأخيرة أن جائزة « جيته » منحت للكاتب الألماني أروين جيدو كولنهاير ، وهو من الكتاب الشيوخ ، ولكنه استطاع أن يجاري النازية ، وأن يحوز استحسان زعماء ألمانيا الحاضرة ؛ ولم تكن له شهرة أدبية من قبل ، ولكن الاعتبار الأول في منحه هذه الجائزة الكبرى ، هو أنه خدم الحركة النازية بقلمه ودعايته ؛ وقد علق أحد الكتاب الألمان المنفيين على ذلك بقوله : « إن النجاح الذي أسبغته جائزة جيته على كولنهاير قد عوضه عن الفشل الذي ما فتئ يلاقيه في حياته الأدبية »

الأستاذ استراتمان Strathmann

في اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٧ بلغ الأستاذ الكبير المستشرق Strathmann الستين من عمره ، وهو مدير المهد الشرقي بجامعة هامبورج ، والأستاذ الألماني الوحيد المتخصص في الفرق الاسلامية والمخرج لمجلة « Der Islam »

لهذا الأستاذ كثير من الأبحاث الاسلامية وله مؤلفات عدة تمتاز بالدقة العلمية والمنطق السليم وتعد لهذا من المراجع الأولى في الأوساط الأوربية للاستشراق ، لأنه إذا كتب يكتب عن تفكير وروية ثم عن احتياط شديد . وهذا غاية ما يمتاز به العالم .

وفوق ماله من المزايا العلمية وسعة الاطلاع فهو وديع هادئ لا يحب الظهور ، ولا يميل إلى الاعلان عن نفسه ؛ يسير مع طلبته كأحدهم ولكنه مع ذلك لا يتهاون في النقد العلمي معهم ، بل قد تكون له في ذلك أحياناً ثورة نفسية باعثها الرغبة الشديدة في تعويد تلامذته الكتابة العلمية ، ومن ورائها قلب طاهر يضمر لهم كل محبة وإخلاص .

يرحب بالمصريين ولا يضن عليهم بارشاداته القيمة وإن أخذت كثيراً من وقته ؛ ويعمل دائماً على تعريفهم بمشاهير علماء الاستشراق في أوربا ، فاذا وفد إليه وافد من هؤلاء سارع إلى دعوة طلبته وفي مقدمتهم المصريون إلى منزله البهيج المنظر لتبادل الحديث والتعرف بالوافد ثم يشيعهم بعد ذلك بكل عطف . فضلاً عن أنه يدعوهم من وقت لآخر لتوثيق عرى الرابطة بينهم .

فاذا بلغ اليوم الستين من عمره فانما يبلغها ووراءه مفخر عظيمة من الأبحاث العلمية المستقلة وطلبة نجباء في كثير من بقاع الأرض .

دكتور محمد البهي

ماذا تعني الفاشستية

لم تثر مسألة من المسائل في عصرنا من الجدل قدر ما تثير الفاشستية ؛ ومع ذلك فلا يزال معنى الفاشستية ومراميها الحقيقية

بعيداً عن فهم الرجل العادى . وقد صدر أخيراً بالانكليزية كتاب يوضح هذا اللغز ويفسره عنوانه «الفاشستى» The Facist بقلم الكاتب السياسى ا . أشتون وفيه يحلل معنى الفاشستية ويستعرض مثلها بطريقة واضحة . ومما يلاحظه فى مقدمة كتابه أن من العبث أن ندرس الفاشستية من واقع عقائدنا وآرائنا السياسية ، بل لابد لذلك من أن تلبس جلد الفاشستى ؛ وهو يحاول ذلك فى كتابه ؛ ويلخص لنا مستر أشتون مركز الفرد فى الدولة الفاشستية كما يأتى : « إن الفرد لا قيمة له فى نظر الدولة مطلقاً ، وليس له حق البقاء إلا كفرد من المجتمع ؛ وقد استبدلت حقوقه الشخصية بتسليم كل أفكاره ومشاعره ورغباته إلى الدولة ، فلا حق له فى التفكير أو التقدير ؛ ولهذا أصبحت قوة التقدير عنده معطلة جامدة ، وكل ما يسمح له أن يفكر فيه هو ما تسمح به الدولة أن يفكر ؛ وهو يدهش إذ يرى فى العالم أناساً لا يعتقدون أن الفاشستية هى خير طريق إلى الحياة »

ويلاحظ المؤلف أيضاً أن من خطل الرأى أن نعتقد أن أكثرية من الدولتين الخاضعتين للنظم الفاشستية ، وهما إيطاليا وألمانيا ، ساخطة على هذه النظم ؛ ولكن يلاحظ من جهة أخرى أن ألمانيا وإيطاليا هما دولتان فى طور الفتوة ، وليست لإحداهما كالانكلترا أو فرنسا أو أمريكا تقاليد ديمقراطية عريقة ؛ بل قد كانت الفكرة الديمقراطية لديهما طارئة ، ولم يرسخ غرسها ؛ ومن ثم قد استحالت الديمقراطية فى إيطاليا غير بعيد إلى حالة من فوضى يستغلها المحترفون ، وأما الشعب الألمانى فهو بطبعه شعب عسكرى يجنح إلى النظام والالتفاف تحت الألوية العسكرية ، ويقدم خضوعه للنظم التى تشبع بهذه الروح بسهولة لا توجد فى الشعوب الأخرى

مصاير الحرب والسلام فى أوربا

لفت أنظار الدوائر السياسية فى انكلترا وفى القارة كتاب سياسي خطير ظهر أخيراً بالانكليزية عن نيات ألمانيا ومشاريعها العسكرية عنوانه : « مؤامرة هتلر ضد السلام » Hitler's Conspiracy against Peace ومؤلفه الدكتور اكنر (وهو غير الطيار الشهير) أحد الكتاب الألمان المنفيين ؛ وفيه يستعرض أغراض هتلر العسكرية كما يبسطها فى كتابه المعروف « كفاحى » ويدلل على أن ألمانيا النازية قد قطعت شوطاً كبيراً فى الاستعداد لتنفيذ هذا البرنامج بالعنف والسيف ؛ وهذه مسألة ليست جديدة فى الواقع ، ولكن الجديد فى كتاب الدكتور اكنر هو المعلومات الهامة التى يذيعها عن جهود الحكومة النازية لتكوين العقلية العسكرية فى الشعب الألمانى وإقناعه بأن الحرب هى وحدها طريق المجد والرخاء ، وعن الدعاية المدهشة التى تنظم فى ألمانيا ضد الدول التى يعتبرها النازى عقبة فى سبيل أحلام ألمانيا . كذلك يقدم لنا المؤلف طائفة من المعلومات الجديدة عن مشاريع ألمانيا فى أسبانيا وآمالها فى محالفة الحكومة الفاشستية التى تحاول أن تعاون فى إقامتها فيها ، وعن أطماع ألمانيا فى الشرق ووسائلها للتمهيد لهذه الأطماع ؛ وهذه الحقائق الغريبة يدعمها المؤلف بطائفة من الوثائق والأدلة الهامة السرية والعلنية . والكتاب صفحة هامة من التاريخ السياسى تلقى ضياء كبيراً على مصاير الحرب والسلام فى أوربا

كتاب عن المسألة الاستعمارية

أضحت المسألة الاستعمارية من أخطر المشاكل الدولية التى تهدد سلام العالم ؛ وما زالت المأساة الحبشية ماثلة أمام الأعين بكل روعتها ، فقد ذهبت أمة عريقة فى الاستقلال هى الحبشة ضحية لهذه الشهوة الاستعمارية الخطرة وأدركت الأمم الصغيرة مرة أخرى أن الحق والسلامة والعدالة الدولية كلمات جوفاء إذا لم تدعمها القوة الغاشمة . وقد صدر أخيراً كتاب خطير عن المسألة الاستعمارية عنوانه « المسألة الاستعمارية : أهميتها الدولية » Colonial Problem, Ies Intern. Significance بقلم الأستاذ الدكتور بون ؛ وفيه يبحث الكاتب دعاوى الدول المحرومة من المستعمرات مثل ألمانيا وإيطاليا واليابان فى المساواة الاستعماريه ويستعرض ثروات الأمم الاستعمارية الكبرى وعدد سكانها ومواردها

الطبيعية وموارد مستعمراتها ، ويقارن مزاياها الاقتصادية ، ويخرج من بحثه بأن القيمة الاقتصادية للمستعمرات مبالغ فيها لأنها ليست في الواقع عاملا مفيداً في تخفيف ضغط السكان في الدول الكبرى ، هذا فضلا عن أن عبء الدفاع عنها وقت الحرب يثقل كاهل أصحابها

ويرى الدكتور بون أن عصر بناء الإمبراطوريات الاستعمارية قد انتهى ، وأن عصرنا هو عصر انحلال لهذه الإمبراطوريات وكل ما تستطيع الدول المحرومة أن تشهده هو عملية التصفية ؛ وينوه المؤلف بالأخص بالعامل النفسي في الدول المحرومة ويصف حقد ألمانيا لفقد مستعمراتها بواسطة معاهدة فرساي ؛ ويرى أيضاً أن الشروط التي يجب توفرها لضمان سلام العالم هي عود الأمم إلى التعاون ، وتنازل الأمم الاستعمارية عن بعض امتيازاتها للدول المحرومة ، وعود الأمم المحرومة إلى موقف التعقل والرشاد .

أدب البحر

أقامت جمعية « أبولو » في الأسكندرية في الأسبوع الماضي حفلة شعرية عن أدب البحر نظمها سكرتير الجمعية الدكتور أبو شادي . واشترك فيها جمع حفيل من حضرات الشعراء والمستمعين ...

وقد بدأت الحفلة بكلمة الدكتور أبي شادي ، ثم تلتها قصيدة رائعة للأستاذ « احمد محرم » ثم توالى الشعراء في إلقاء قصائدهم وكانت من القصائد المبرزة في الحفلة قصائد حضرات الشعراء « يوسف فهمي ، ومحمد السيد ، وزكي غازي ، وفتحي الشهابي ومصطفى السحرتي »

ثم نهضت الآنسة نفيسة السيد وألقت قصيدة جميلة هزت الأسماع ننشر بعضها في هذا العدد تشجيعاً لها على المضي في هذا الميدان ... متجاوزين عن بعض هنات بسيطة لا تشوه من جمال القصيدة .

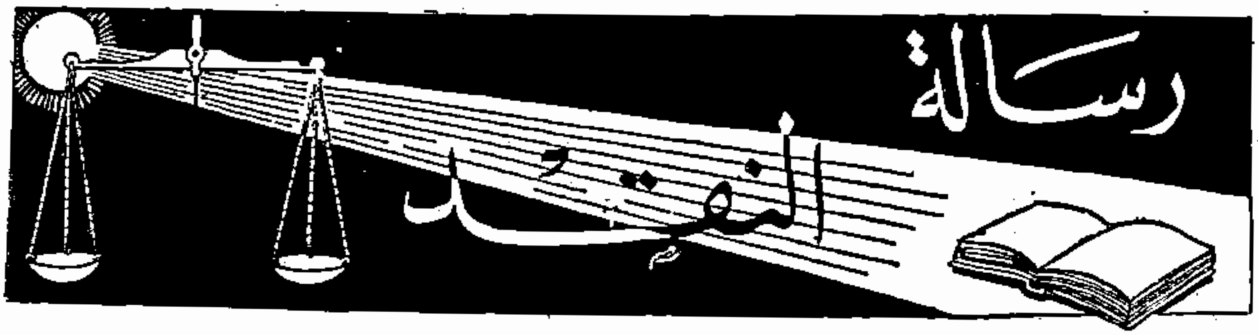
وقد لاحظنا في الحفلة أن كثيراً من شعرائها قد خرجوا في إلقائهم عن قواعد اللغة البسيطة ... فمثلا نرى الشاعر « محمد السيد » قد خرج بكثير من كلمات القافية عن صحتها ... فنراه ينطق كلمة « زفاف » بفتح الزاي وصحتها بالكسر وكلمة « هتاف » بكسر الهاء وصحتها بالضم ... وكذلك نرى الشاعر « مصطفى صبحي » ينطق « ريح الشمال » بكسر الشين وصحتها بالفتح ... إلى غير ذلك مما تعصانا عنه الذاكرة

والحفلة في مجموعها مجهود موفق نشكره للدكتور أبي شادي ولحضرات الشعراء الأفاضل ، ونهنئ به الاسكندرية التي تلبثت زماناً طويلاً بعيدة عن أمثال هذه المحافل الأدبية

فتحي . م

ذكرى شاعر قوقازي

احتفل أخيراً في بلاد الكرج والقوقاز بالعيد المئوي لمولد الشاعر الكرجي إيليا شافشفادزي ، أعظم شعراء الكرج في القرن التاسع عشر وكان هذا الشاعر زعيماً وطنياً لعب دوراً عظيماً في إذكاء الروح الوطنية بين مواطنيه ، واتخذ الشعر والأدب سلاحاً لدعوته ، ولبث مدى أربعين عاماً زعيم أمته الفكري ؛ وقد نظم الشعر بكثرة وبراعة واشتغل بالأدب والصحافة ، وكان له مع القيصرية مواقف وطنية مؤثرة ؛ ولما صدر الدستور الروسي على أثر ثورة سنة ١٩٠٥ ، احتفظت القيصرية بكراسي مجلس الشيوخ لصنائعها من رجال البلاط ؛ ولكنها لم تجد بداً من النزول على ضغط الحركة الوطنية في القوقاز ، ورأت أن تهدئها باختيار ممثل لها في مجلس الشيوخ ؛ وكان هذا الممثل هو الشاعر الكبير شافشفادزي أو البرنس شافشفادزي ، وهو الأول والأخير الذي حظي بهذا الشرف ؛ وقد انتظم الشاعر مع ذلك في صف خصوم القيصرية منذ مقدمه إلى بطرسبرج ، فكانت النتيجة أن القيصرية توسلت إلى التخلص منه بوسائلها المعروفة . وكان أن قتل بعد ذلك بأشهر قلائل على أثر عودته إلى القوقاز . ولكن القيصرية لم تستطع أن تقتل الحركة الوطنية التي أذكاها شافشفادزي بقلمه ولسانه ، بل لبثت آثارها ماثلة في الجيل الذي خلفه ، والذي استطاع فيما بعد أن يعاون في هدم القيصرية والطغيان . ومما هو جدير بالذكر أن ستالين زعيم روسيا وطاغيتها الحالي هو من مواطني الشاعر وتلاميذه في الوطنية والحركة التحريرية



كتاب إحياء النحو

تأليف الأستاذ ابراهيم مصطفى

للأديب السيد عبد الهادي

تتمة

واصل الأستاذ بدوى نقده ، فى مقاله الثانى ، لمعانى الأعراب أخذ يناقش بعض الأمثلة الواردة فى الكتاب دون اعتماد على نقل ـيم أو سند من رأى . فبينا ترى الكتاب قد امتلأ بآراء أئمة النحو ـدماء وبالنصوص القديمة الصحيحة مؤيدة بأسماء الكتب وأرقام ـصفحات ، وذلك شأن الباحث الحديث الذى لا يقطع صلته بالماضى ـكنه لا يقف عند حده ، ترى نقد الأستاذ قد خلا منه تماماً ؛ خلو النقد من أمثال هذه النصوص والآراء يسقط قيمته ويحيله مجادلات لفظية لا تغني عن الحق شيئاً .

ولعلي لا أجد بياناً أوفى ولا حجة أقطع فيما بيني وبين ـستاذ بدوى من خلاف حول معانى الإعراب إلا أن أقدم ـارئ الكريم صورة صحيحة دقيقة عن رأى المؤلف فيها ، وإذ ـ يستطيع القارئ بنفسه أن يحكم للكتاب أو عليه وأن يقدر ـل المؤلف ودقة نظره وأن يعرف إلى أى حد كان هذا النظر ـحاً جديراً بأن يكون إحياء للنحو بكل ما فى كلمة الاحياء معنى .

فاللغة العربية لغة معربة أى تتغير حركات الحرف الأخير كلماتها تبعاً لتغير التراكيب ، وهذه أهم ظاهرة تلفت النظر فى اللغة العربية ، وقد كان العرب شديدى العناية بالإعراب ، وكان حسهم به دقيقاً يقظاً ؛ وقد قالوا : اللحن هجنة على الشريف . وقال عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن . هذا شأن حركات الإعراب ومنزلتها فى اللغة العربية .

أما الحركات الأخرى التى ليست حركات إعراب وهى التى تكون فى أوائل الكلمات أو فى أوساطها فليست أقل شأناً فى العربية من حركات الإعراب فإنها أداة للتفريق بين المعانى المختلفة ، فهى تفرق بين اسم الفاعل والمفعول فى مثل مكرَم ومكرِم ، وبين فعل المعلوم وفعل المجهول فى مثل كَتَب وكُتِب ، وبين الفعل والمصدر فى مثل عَلِم وعِلْم ، وبين الوصف والمصدر فى مثل فرِح وفرَح وحَسن وحُسْن ، وبين المفرد والجمع فى مثل أسَد وأُسْد ، وبين الفعل والفعل فى مثل قدِم وقدُم ، وبين معان أخرى كثيرة يتبينها الناظر فى مفردات اللغة العربية بسهولة وبكثرة عظيمتين .

من هذا نرى عناية اللغة العربية بالحركات على اختلاف أنواعها وحرصها على الدقة فيها حرصاً شديداً .

وقد حاول علماء النحو أن يعرفوا منشأ حركات الاعراب ، وفكروا فى ذلك طويلا وأنعموا النظر ودققوا الإحصاء ، فهداهم كل ذلك إلى أن حركات الإعراب ليست إلا نتيجة لعامل مذكور فى الجملة ، وإن لم يكن مذكوراً فلا بد من تقديره حتى يسلم العقل بوجود حركة الإعراب لأنها عرض حادث لا بد له من محدث ، ومحال أن يوجد الحادث من غير محدث ؛ وقد أطالوا الكلام فى العامل لأنه فى نظرهم سبب حركات الإعراب ، فجعلوا الأصل فى العمل للأفعال ، والأسماء تعمل حملا عليها ، وبعض الحروف يعمل

حملا على الفعل ؛ وجعلوا بعض العوامل قوياً وبعضها ضعيفاً . وعلى الجملة قد وفوا العامل حقه من البحث والإحصاء ، وألفوا كتباً تجمع قواعد النحو تحت عنوان العوامل . وقد عشنا على هذه النظرية طوال هذه السنين حتى أحالها الزمن إلى عقيدة ثابتة يؤمن بها الصغير والكبير ، فأعطينا للكلمات المختلفة قوة ترفع وتنصب وتجزم ، ولم نعط لأنفسنا هذه القوة ، ونحن الذين ننشئ الكلمات وتغيرها وتبدلها ونحن الذين نرفع وننصب ونجزم .

وقد جاء المستشرقون وحاولوا أن يجدوا أصلا لحركات الإعراب فافترضوا أنها بقايا لزوائد كانت تلحق بالأسماء ، وقد انقرضت الزوائد وبقيت الحركات دالة عليها ، وهذا مجرد فرض لم تقم على صحته أدلة كافية باعتراف المستشرقين أنفسهم

ثم جاء الأستاذ الجليل مؤلف « إحياء النحو » ونظر فيما قرره النحاة في منشأ حركات الإعراب وما انتهى إليه المستشرقون ، أطال النظر فيما سبقه من الآراء والنظريات ، وأطال الاتصال بالعربية وأساليبها الصحيحة فلم يرقه ما قرره أولئك ولا هؤلاء في منشأ حركات الاعراب ، واهتدى بثاقب فكره إلى أن حركات الإعراب إنما هي إشارة إلى معنى خاص يقصده العربي حين يلتزم الفتحة أو الكسرة أو الضمة ، ولم يستقم عنده أن يكون الإعراب حكما لفظياً يتبع لفظ العامل دون أن تكون له إشارة إلى معنى خاص ، أو أثر في تصوير المفهوم ؛ فما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها الحرص الشديد وهي لاتعمل في تصوير المعنى شيئاً ؛ ونحن نعلم أن العربية لغة الايجاز ، فالعرب يحذفون الكلمة إذا فهمت والجملة كذلك ، ويهملون مالاحاجة إليه رغبة في الإيجاز كعلامة التأنيث في الصفات الخاصة بالمؤنث ، كما في أيم وظئر ومرضع ، فهل يعقل في لغة هذا شأنها من الإيجاز أن تلتزم حركات إعراب مختلفة دون أن تكون هذه الحركات دالة على معان مختلفة

نرى في اللغة العربية ظاهرة التعدد في صيغ الكلمات والأدوات التي تؤدي وظيفة واحدة ، ولكن لكل واحدة معنى خاص تشير اليه كصيغ الجموع المختلفة ، كل صيغة لها دلالتها الخاصة ، والصيغ المختلفة للصفة المشبهة لكل صيغة دلالتها الخاصة ، وأدوات النفي لكل أداة معنى خاص في النفي ، وأدوات الشرط المختلفة

كذلك لايعدل عن واحدة إلى الأخرى إلا تبعاً للمعنى ؛ وهكـ
في كل الظواهر التي نشاهدها في اللغة العربية ، وما علاما
الإعراب إلا ظاهرة من هذه الظواهر الكثيرة تسير على منها
وتأخذ حكمها ، وتكون دالة على معان مختلفة ، وتتغير تبعاً لتـ
هذه المعاني ؛ فالذي يعدل بالعربي عن حركة من حركات الإعرا
إلى الأخرى إنما هو المعنى وليس عاملا من العوامل . ذلك ما ار
الأستاذ الجليل مؤلف « إحياء النحو » في حركات الإعراب
أشهد ويشهد معي كل منصف أنه فتح جديد في فهم العربية

فما عسى أن يقول الأستاذ بدوي في ذلك وما عساه أن يقـ
في هذه العبارة « نريد أن نفهم حركات الإعراب كما نفـ
الظواهر الأخرى في اللغة العربية كصيغ الجموع المتباينة وصـ
الصفات المختلفة وأدوات النفي المتنوعة من حيث دلالة كـ
واحدة منها على معنى خاص ؟ »

وأخيراً لم يرق لدى الأستاذ الناقد أن تضم أبواب الفا
والمبتدأ ونائب الفاعل تحت باب واحد هو المسند إليه وحـ
أن المبتدأ لا يصح أن يكون نكرة والفاعل يصح أن يكـ
كذلك وللمبتدأ أحكام مع الخبر من حيث تأخره وتقدمه
ووقوع الخبر جملة حيناً ومفرداً حيناً آخر وليس للفاعل
من ذلك . والجواب عن ذلك سهل يسير ؛ فلو أن الأستاذ
كيف وحد المؤلف أحكام المبتدأ والفاعل وأزال وجوه التـ
بينهما لانتفت عنده كل شبهة ولآمن بأن البابين باب و
شطرته الصناعة الفاسدة شطرين ، وذلك أننا حينما ننظر إلى الـ
والفاعل كشيء واحد هو المسند إليه نستطيع أن نوحد أحكا
المختلطة ؛ وأهم ما يفرقون به بين الفاعل والمبتدأ أن الفعل يـ
مع الفاعل الجمع أو المثنى ، وأما المبتدأ فلا بد أن يطابقه الخـ
ولكن المؤلف جمعهما في هذا الحكم بقاعدة سهلة يسيرة هي
المسند إليه إذا تقدم وجب أن يطابقه المسند في العدد وإذا
وجب أن يكون المسند مفرداً وهي قاعدة مضطردة لا
لـبيلها والحال كذلك في التعريف والتنكير ، وذلك أنه إذا
المسند إليه وجب أن يكون معرفة ، وإذا تأخر جاز أن
نكرة ، والحال كذلك في التقديم والتأخير ، فاذا كان المسند إليـ



كتاب إحياء النحو

اكتشاف لغوى مهم

للأستاذ يوسف كركوش

تمتاز اللغة العربية عن سائر اللغات بحركات الاعراب التى تلحق أواخر الكلم ، إلا ما يقال عن بعض اللغات السامية : كاللغة السريانية : من أن لها علامات اعرابية ، وهى لغة ميتة . أما سائر اللغات سواء الحية منها أو الميتة فان أواخر كلماتها ساكنة ، مهما تغير موقع تلك الكلمات من الجملة ، وأما باقي بحاث اللغة : من صرف ، واشتقاق ، وبلاغة ، إلى غير ذلك فهى موجودة فى أكثر لغات العالم

وقد بذل علماء اللغة العربية — منذ القرن الأول للهجرة — جهوداً جبارة للكشف عن حقيقة هذه الظاهرة الاعرابية ، ومعرفة أسبابها ، فاستنبطوا قواعد وضوابط زعموا أنها تكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ومعرفة أسبابها . فكان من نتيجة استنتاجهم أن هذه الحركات الاعرابية متأثرة بعامل يكون فى الجملة ، فكأنهم اعتبروها كائنات حية تؤثر أثرها . وإنا لنعترف لهم بالفضل لتتبعهم واستقرائهم كلام العرب ، منظومه ومنثوره ورحلاتهم الطويلة الشاقة لأجل مشافهتهم الأعراب ؛ ولكنهم لم يوفقوا فى استنباط هذه القواعد والدساتير

وقد أولعت منذ نعومة أظفارى — بدرس اللغة العربية ومدارستها، وقرأت كل ماوصل إلى يدى من مؤلفاتها ؛ ومع ذلك لم يزل الشك يساورنى فى صحة هذه القواعد والدساتير التى وضعها علماء اللغة لها ، هذا مع اعترافى بصحة هذه الظاهرة الاعرابية . فكنت على الدوام أتطلب وأتساءل وأجمع المعلومات لعلى أهتدى إلى تعليل صحيح لهذه الظاهرة بحيث يكون قريباً من الذوق الفطري .

وصادف أني اجتمعت بزميل لي يشاركنى هذه الفكرة ويجول فى ذهنه ما يجول فى ذهنى ويتمنى لو تسنى له أن يزيل اللثام عن هذه القضية . فقد احتلت حيزاً كبيراً من عقله فكان حين صادفنى هذه المرة أن قال لى قبل كل شيء : البشرى . فقلت له : ومثلك من يبشر بخير . فقال : طلع علينا كتاب من مصر لأستاذ مصرى اسمه إبراهيم مصطفى واسم الكتاب « احياء النحو » فيه تحقيق فكرتنا . ثم ناولني نسخة من هذا الكتاب

...اظ الصدارة وجب تقديعه ، وإن أوقع تقديمه فى لبس وجب ...خيره والعكس بالعكس ، وهكذا نجمع أحكام الأبواب الثلاثة ...ت باب واحد فنسهل بذلك على الدارس المبتدىء ونحببه فى ...اسة النحو ولا نفوت من أحكام اللغة حكما واحداً صغيراً ...كبيراً .

وإنى أسأل الأستاذ بدوى سؤالاً واحداً بعد ذلك كله : ألم ...د فى كتاب إحياء النحو شيئاً واحداً يستحق التقدير والثناء حتى كان كل نقده من أول حرف إلى آخر حرف ذماً وانتقاصاً ؟ لا أظن أحداً من الناس يوافقه على أن كتاباً خرج فى مائتى صفحة ليس فيه موضع لثناء أو تقدير ، ولوأن كتاباً خرج كذلك بالفعل لوجب على من يريد أن يحاربه أن يتلمس له موضع حسن حتى يوهم الناس أن نقده برىء خال من الهوى والتعصب .

السيد عبد الهادى
بالدراسة العليا بكلية الآداب

فكان سروري به عظيما لا يوصف . فقرأته بإمعان وترو متجرداً من عواطف الحب والكره ، فرأيت المؤلف قد علل الحركات الاعرابية من ضم وفتح وكسر ، وكذا التنوين وعدمه بتعليل طبيعي فطري يجرى مع الذوق السليم . فكدت أطير فرحاً وزال عني ذلك الكابوس الذي كان جاثماً على صدري

فالكتاب جليل عظيم القدر ، لا باعتبار مادته ، بل باعتبار نزعته التجديدية ، وترتيب معلوماته ترتيباً منطقياً لاستجلاء تلك الفكرة السامية . فهو بحق « إحياء النحو » . وهذا العمل اكتشاف مهم فى اللغة العربية : لاظهاره ما للغة العربية من مزايا جليلة ، ولازالته عناء البحث عن طالبيها ، فبعد أن كان الطالب يحتاج إلى مدة كبيرة لمعرفة أسباب هذه الظاهرة صار يكفيه من الوقت لمعرفة ذلك أقل بكثير

وكنت أعتقد أن هذا الكتاب سوف يحدث ضجة فى العالم العربي ولا سيا مصر ، وأن الأقلام ستأخذه بالنقد والتحليل لاظهار حقيقته ؛ ولكن — مع كل الأسف — لم يقع بعض هذا ، مع أن فى العالم العربي لا سيا فى مصر فطاحل العلماء فى اللغة العربية . هذا مع خطورة هذه المسألة ، فهى جديرة بالبحث لأنها مسألة حيوية لها صلة بالتفكير والتعبير . ولو أن مثل هذا الكتاب ظهر فى إحدى البلدان الغربية لأعاروه أهمية عظمى . وإنى لأربأ بأبناء أمتى أن يبلغ بهم الجمود هذا الحد فيصدق فيهم قول أعدائهم من الأجانب : إن الأمة العربية أمة بعيدة عن التطور عدوة لكل تجديد .

والعجب كل العجب من الأستاذ « أحمد أمين » أنه حين كتب فى (الرسالة) حول موضوع « ضعف اللغة العربية » لم يحمل الضعف ناشئاً من قبل قواعد اللغة ، بل اعتبره ناتجاً من قلة كفاية المعلم ، وما إلى ذلك من مناهج ، وتفتيش ووسائل التربية . وهذه لا ينكر أن لها أثراً فى ضعف اللغة ، ولكنها فى المرحلة الثانية ، وهى غير خاصة باللغة العربية ، بل تشمل سائر الدروس

وبصفتى فرداً من أبناء الأمة العربية — أقترح : أن يشكل (مجمع اللغة العربية الملكى بالقاهرة) لجنة تنظر فى هذا الكتاب وتمحصه تمحيصاً دقيقاً ، وتختبر هذه النظرية التى دعا إليها المؤلف فى كتابه وتضع لنا قواعد على ضوء هذه النظرية . إذ أن مثل هذا العمل من أهم أغراض المجمع المذكور ، فان من جملة أغراضه أن يبحث كل ماله دخل فى تقدم اللغة العربية

(الحلة — العراق) يوسف كركوسه

كتاب فى قصور دمشق

ثلاثون قصة وقصة (من لب الحياة)

تأليف الأستاذ محمد النجار

أخذ الاهتمام بالقصص يزداد فى العالم العربى لما تبين من نفاسة قيمته الفنية والأدبية ، وعظم فائدته القومية والانسانية . وكانت مصر وما تزال مجلية في الحلبة ؛ ثم بدا نمو هذه الحركة ونشاطها فى لبنان . أما دمشق فظلت فى تأخر حتى إذا ظهر كتاب (فى قصور دمشق) رحب به الأستاذ منير العجلانى فى المقدمة التى كتبها له واستزاد مؤلفه من أمثاله وحثه على الاستمرار فى الكتابة

وأقاصيص الكتاب صغيرة تتراوح بين ثلاث وأربع صفحات تفضح — إذا صح القول — كثيراً مما فى زوايا الخدور فى صراحة يستهجنها بعض المتأدبين ويحبها المحافظون ، وفيه كثير من الأساليب واللهجات العامية

تلذ قراءة هذا الكتاب للفتيان لأنهم يذهبون مع رغباتهم ويستطيبون لذات الحياة مهما كبحوا جماح أهوائهم وربما فسروا حكاياته مع ما يتفق وغرورهم ، أما الكهول فلهم لا يجدون فى هذه الأساطير كبير غرابة لأنها أحاديث تملأ المجالس الخاصة وما هى بالأمر الذى يطغى على دمشق بل هو ناحية صغيرة من نواحيها الجديرة بالاهتمام . وليست هذه الحال تختص بدمشق وحدها فني كل بلد من عجائب أسرار البيوت ما تعافه النفوس الأبية

ولا ريب أن الأستاذ النجار قد عانى من المشاق فى سبيل تلقف هذه القصص وجمعها من مجالس اللذات وأفواه الهامسين وأحاديث الأندية ، وهو على عنايته بإبراز هذه الصور واضحة مجردة عناية يشكره الأدب الواقعي عليها ، مصلح ينبه قومه إلى هذه الأسواء وضرورة معالجتها .

(دمشق) مظفر البقاعى

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى عمارة عجيم رقم ٧ ﴾